بقلم الرئيس العام الشيخ
محمد صفوت نور الدين

صحة القلب

خلق الله لكل إنسان قلبًا واحدًا[1] وجعله سببًا لنجاته وهلكته فيقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ . والقلب السليم هو يستمد منهجه من خالقه

(١) ليس للعبد سوى قلب واحد في جوفه هو ذلك القلب المحسوس الذي سماه النبي ﷺ مضغة (ألا إن في الجسد مضغة) وهو في الصدر ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وليس هناك من قلب آخر في جوف العبد ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وهذا القلب يتريه الإيمان والكفر فيصح بالإيمان فيجعل السمع والبصر والحس مجديًا لصاحبه ، ويمرض بالكفر فيكون كالأصم والأعمى ويقسو ؛ بل يموت . لا يغرنك من يتحدث عن قلب محسوس وآخر غير محسوس ؛ لأن ذلك منافٍ لصريح القرآن ، لا يجوز لمسلم أن يعتقده . ولا يضر في ذلك من يتحدث عن نقل القلب ؛ فإن التجارب في ذلك من الندرة بحيث لا نستطيع أن نستنبط منها شيء ، فللتجارب متغيراتها وثوابتها التي قد تصلح على الفئران ولا تصلح على الإنسان ، فإذا جاء الوحي بأمر قدمناه وإن أوهمنا الحس بخلافه لأن الحس لا يفرق بين السراب والماء .

- القلب المؤمن يستمد منهجه من خالقه ويرجع لله كل شؤونه.
- من شواهد القلب المؤمن تعظيم شعائر الله.
- من استهان بالشرع مرض قلبه وصار المعروف عنده منكرا والمنكر معروفا.

فيرجع في كل شأنه له سبحانه، وهو الذي ينجو صاحبه من النار ويفوز بالجنة ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ . مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ ونبينا ﷺ يبين أن القلب سبب النجاة والهلكة فيقول: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

والمضغة: القطعة من اللحم التي تناسب المضغ في حجمها تعبيرًا عن صغرها وبها نجاة البدن وهلكته على كبر حجمه، والله سبحانه يبين طريق صلاح القلب ببيان مصدر غذائه ونمائه وحياته فيقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فالوحي مصدر غذاء القلب وحياته. والقلب الحي هو الذي تغذى بالوحي، وهو الذي يستجيب إذا جاءه الأمر من الله ورسوله. والقلب الذي لا يتغذى بالوحي يصبح قلبًا ميتًا ويوم القيامة يبعث صاحبه للحساب ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ . إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

وهكذا فالقلب يتغذى على الوحي فيسمع فتستجيب الأعضاء لربها ، لأن القلب سمع . فكأن عدم امتثال المرء لأمر الله دالٌ على أن القلب لم يسمع - وإن سمعت أذناه - لأن القلب طبع الله عليه فتعطلت وظيفة السمع من الأذن وإن بلغها الصوت وذلك قول الله سبحانه : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ . وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ أما من سمع قلبه فإنه يتبع الهدى بالعمل والامتثال فيزيده الله هدى بالتوفيق والتيسير .

والوحي منه الذكر الذي يطمئن به القلب فيطيع ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ . أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ بل إن الامتثال لشرع الله والبعد عن الشبهات يطهر القلوب ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ .

فصحة القلب وسلامته في طمأنينته بذكر الله تعالى . ودواؤه وشفاؤه في وحي الله والذكر الذي أنزله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ويقول عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ .

فالقلب السليم يسمع به صاحبه ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ويعقل به صاحبه ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ والقلب السليم يبصر به صاحبه ويشعر . أما القلب الذي لا يغذيه وحي فإنه يفسد فتفسد بفساده سائر الحواس . ذلك لأن غفلته عن شرع الله تنحدر به ليتساوى أو ينزل عن درجة الحيوان ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

والقلب يصيبه المرض في إيمانه ، وإن كان صحيحًا في بنيانه كما قد يصح في إيمانه مع مرضه في بنيانه ، فالقلوب تقسو بالمعاصي ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

والله يحاسب العبد على القلب وعمله ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ **ويقول سبحانه** : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ . مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ **فالقلب يهتدي بالإيمان ويزداد هداية بالعمل** ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ .

فمن عمل بالمشروع ، وأخذ بأسباب حياة قلبه وشفائه صح قلبه ، فأدرك وعرف المعروف وأنكر المنكر ، وشعر بلذة الطاعة والأُنس إلى ربه فيها . ومن أخذ بأسباب مرض القلب فأكثر من المعاصي ، واستهان بالشرع مرض قلبه وصار المعروف عنده منكرًا والمنكر معروفًا . روى مسلم في صحيحه ، عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأي قلب أشربها نُكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء . حتى تصير القلوب على قلبين ، أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه » . فاللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه لتصح قلوبنا فَتُقْبل عندك ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه فننجو من عذابك وسخطك في الدنيا والآخرة (آمين) .

محمد صفوت نور الدين

بقلم
رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

الإسلام لأمن المجتمع

الحمد لله وحده ، وصلاة وسلامًا على رسوله المصطفى ، وخليله المجتبى... وبعد .

فإن الأمن والرزق نعمتان من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين الموحدين ، ولذلك اقترن كل منهما بالآخر في كتاب الله :

ففي دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ، وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [**البقرة : ١٢٦**] **وفي دعائه الآخر** ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [**إبراهيم : ٣٥**] **ومن هذا نتبين أن هناك ثلاثة محاور أو ركائز تقوم عليها حياة الإنسان كلها !**

الركيزة الأولى : التوحيد ﴿ واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

الركيزة الثانية : الأمن ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ .

الركيزة الثالثة : الطعام ﴿ وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

فإذا تدبرت هذه الركائز الثلاث ستجد أنها مصدر الحياة السعيدة المستقرة الآمنة التي يسعى لتحصيلها كل البشر مؤمنهم وكافرهم !!

لكن : ما هي العلاقة بين هذه المحاور ؟؟ القرآن الكريم يعطيك الجواب ، ويسوق البيان في هذه النماذج التي ذكرها لتكون عبرة لأولي الألباب :

❋ ففي الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه يبدو لنا في وضوح وجلاء العلاقة القوية بين التوحيد والأمن فهو عليه السلام يقول لقومه : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ [الأنعام : ٨١] .

ويأتي الجواب القاطع :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وهذه هي الحقيقة الأولى : « التوحيد مصدر الأمن » وكل مجتمع بشري لا يمكنه أن يصل إلى تحقيق أمنه حاكمًا ومحكومًا ، أفرادًا وجماعات إلا من هذا الطريق !! والتوحيد إفراد الله بالعبادة ..

والعبادة الصحيحة الخالصة طريقها الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة .

❋ وعندما امتن الله على قريش ، ودعاهم إلى توحيده ، فإنه سبحانه وتعالى قال لهم ولنا معهم : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٣ - ٤] .

فالله عز وجل أطعمهم من الجوع ، وأمّنهم من الخوف ، وأمرهم بعبادته . فإن لم يفعلوا نزع منهم نعمة الطعام فجوّعهم !! ونزع منهم نعمة الأمن فخوّفهم !!

وليس هذا خاصًّا بقريش ، بل هو سنة من سنن الله الكونية التي نبه عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

وحتى لا يغفل المسلمون عن هذه السنة الكونية ؛ فإن الله قد ذكرها لنا واقعًا نراه !! وتطبيقًا نعيشه ، وننظر فيه فيما حكاه القرآن عن سبأ !! ولو أن المسلمين أمعنوا النظر في هذه القصة لاستقاموا على الطريقة ! وعادوا إلى الله من قريب . تدبر هذه الآيات :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴾ وسع الله لهم الرزق فقال : ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ وهو ما يسمى « الأمن الغذائي » ! وأمرهم بعبادته ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ

رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ .

فلما أعرضوا سلب الله منهم الأمن ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ **وحرمهم رغد العيش** ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ .

وجعلهم الله أحاديث ! ومزقهم كل ممزق !!

إن الله قد فعل بهم ذلك جزاء كفرهم وجحودهم ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ ﴾ **ثم نبهنا إلى حقيقة هامة حتى لا نغفل عنها** ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ ؟!! [**سبأ : ١٥ - ١٧**] .

❋ **وفي القرآن الكريم يبين الله سبحانه وتعالى عظيم نعمته على قريش في قوله :** ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ، وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [**العنكبوت : ٦٧**] .

أي أن الله جعلهم في أمن وأمان ، والأعراب من حولهم يقتل بعضهم بعضًا ، وينهب بعضهم بعضًا ، ومع هذه النعمة العظيمة قال كفار قريش لرسول الله ﷺ : ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [**القصص : ٥٧**] .

وهنا نحتاج إلى تدبر عميق لهذه السنة الكونية ؟ فإن كفار قريش قد مكّن الله لهم حرمًا آمنًا يُجبى إليه ثمرات كل شيء ، فلما عاندوا وأعرضوا وجحدوا وكذبوا أذاقهم الله الخزي والذل ، وأبدلهم من بعد أمنهم خوفًا ، وملأ قلوبهم رعبًا !! كما قال : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [**آل عمران : ١٥١**] .

فبين أن هذا الرعب سببه الشرك بالله !! وأما المؤمنون الموحدون فقد كانوا في مبدأ أمرهم خائفين بمكة فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا ، وبعد ذلهم عزًا !! وقال لهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [**آل عمران : ١٢٣**] .

وذكّرهم بنعمة الأمن بعد الخوف في قوله : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [**الأنفال : ٢٦**] .

وبهذه المقارنة يتبين لنا : أن الله عز وجل ألقى الرعب في قلوب الكافرين بشركهم ! وجعل الأمن والسكينة في قلوب المؤمنين بتوحيدهم ! وبهذا نصل إلى الحقيقة الكبرى التي تقول : « التوحيد مصدر الأمن ، والشرك مصدر الخوف » وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

صفوت الشوادفي

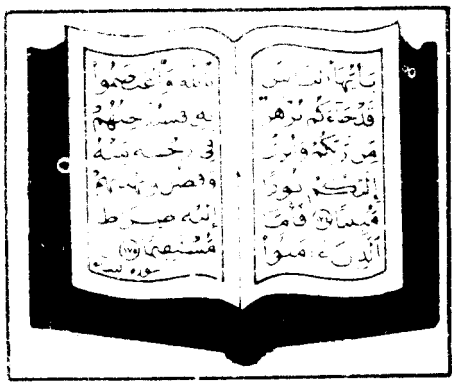

علوم القرآن أصولاً ومنهجاً

بقلم
أ.د. محمد بكر اسماعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر

المحكم والمتشابه

القرآن كله محكم باعتبار ، وكله متشابه باعتبار . وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار

هذه قاعدة أصولية بيانها أن القرآن الكريم كله محكم باعتبار أنه متقن بليغ في نظمه وأسلوبه وأحكامه ، مانع من دخول غيره فيه . ومن طروء الخلل في ألفاظه ، والتناقض في معانيه . قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١] وكله متشابه باعتبار أنه متماثل في فصاحته وبلاغته ، وحلاوته وطلاوته .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣]

وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار أن بعضه أحكام نصّية ، لا تحتمل إلا وجهًا واحدا ، ولا يختلط الأمر في فهمها من هذا الوجه على أحد ، وبعضه أحكام تحتمل أكثر من وجه لحكمة سامية سيأتيك بيانها إن شاء الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقد اختلف العلماء في معنى المحكم والمتشابه . فقال بعضهم : إن المحكم هو الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل النسخ ، أما المتشابه فهو الخفي الذي لا يدرك معناه عقلًا ولا نقلًا ، وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، وخروج الدجال ، والحروف المقطعة في أوائل السور ، وينسب هذا القول إلى الأحناف وغيرهم من أهل السنة .

ومنهم من قال : إن المحكم ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا من التأويل ، والمتشابه ما احتمل أوجهًا ، ويعزى هذا الرأي إلى ابن عباس ، ويجري عليه أكثر الأصوليين .

ومنهم من قال : إن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر ، أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل ويعزى هذا الرأي إلى الإمام الرازي ، واختاره كثير من المحققين .

وقد بسطه الإمام الرازي فقال ما خلاصته : « اللفظ الذي جعل موضوعًا لمعنى ، إما ألا يكون محتملًا لغيره ، أو يكون محتملًا لغيره ، فالأول النص ، والثاني إما أن يكون احتماله لأحد المعاني راجحًا ، ولغيره مرجوحًا ، وإما أن يكون احتماله لهما بالسوية ، واللفظ بالنسبة للمعنى الراجح يسمى ظاهرًا ، وبالنسبة للمعنى المرجوح يسمى مؤولًا وبالنسبة للمعنيين المتساويين أو المعاني المتساوية يسمى مشتركًا وبالنسبة لأحدهما على التعيين يسمى مجملًا ، وقد يسمى اللفظ مشكلًا إذا كان معناه الراجح باطلًا ومعناه المرجوح حقًا » .

وقد قسم الإمام الراغب في مفرداته المتشابه إلى أقسام كثيرة يدخل بعضها في بعض ، فأجاد وأفاد ، وحقق المراد .

وقد نقلت عنه ما قاله في كتابي : « دراسات في علوم القرآن » مع شيء من التوضيح والتوجيه فراجعه إن شئت في الصفحة رقم ٢١٢ وما بعدها .

واعلم – أيها القارىء الكريم – أن التشابه لا يقع في القواعد الكلية ، وإنما

يقع في الفروع الجزئية .

وقد عرف ذلك بالاستقراء ، أي بتتبع أصول الشرعية أصلًا أصلًا ، لأن الأصول لو دخلها التشابه لكان أكثر الشريعة من المتشابه .

والمعروف لدى علماء الأصول والفروع أن نسبة المتشابه إلى المحكم من النصوص الشرعية قليلة وذلك لأن المتشابه لو كان كثيرًا لكان الالتباس والإشكال كثيرًا ، وعند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان وهدى .

وقد نزل القرآن ليرفع الاختلاف الواقع بين الناس ، ولولا أن الدليل أثبت أن في القرآن متشابهًا ما صح القول به .

وقد بين الله أن المحكم أم الكتاب وذلك في قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾ وأم كذلك فقوله تعالى : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إنما يراد بها القليل .

والمتشابهات بعضها يعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم ، وبعضها لا يعلمه إلا الله .

وسنبين بمشيئة الله تعالى في المقال الآتي الحكمة من وجود المتشابه في القرآن بوجه عام .

الشيء: معظمه وعامته وأصله ، وإذا كان ذلك

الكبائر

❋ قال ابن مسعود :

الكبائر هي أربعة في القلب وهي :
الشرك بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره .
وأربعة في اللسان وهي : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الباطل ، والسحر .
وثلاثة في البطن وهي : شرب الخمر والمسكر من كل شراب ، وأكل مال اليتيم ظلمًا ، وأكل الربا .
واثنان في اليدين وهما : القتل ، والسرقة .
واثنان في الفرج وهما : الزنا ، واللواط .
وواحدة في الرجلين وهي : الفرار من الزحف .
وواحدة في جميع الجسد وهي : عقوق الوالدين .

حق الوالدين والعتق

تحدثنا عن طرف من نظام الرق والموالاة ونكمل الحديث ببيان جميل معاملة المسلم للعبد الذي تحت يده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطي بي ثم غدر ، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره »[1] .

معاملة الرقيق :

يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٣٦] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمَن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » (متفق عليه) ولقد كانت آخر وصايا النبي ﷺ وهو على فراش الموت (الصلاة وما ملكت أيمانكم) .

أجر المملوك عند الله :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » (متفق عليه) .

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أَمَةٌ فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « للعبد المملوك المصلح أجران » . والذي نفس أبي هريرة بيده لولا

الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك . (متفق عليه) .

هذه لمحة عن نظام الرق الذي حرر به العبيد ، وجعل لهم نظام ولاء عوضهم الله عن أهليهم وقبائلهم بالإسلام بديلا ، فجعلهم يلقون حسن معاملة في حياتهم الدنيا ويعوضون عن ذلك بالغ الأجر ورفيع الثواب في الآخرة ، ويفتح لهم باب الخروج من الرق واسعا حتى صار منهم كما قدمنا السادة والقادة .

والآن نقدم كلمات نختصرها عن نظام الرق في القديم وفي الحديث عند غير المسلمين .

قال العقاد في كتاب « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » :

شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق . إذ كان الرق مشروعا قبل الإسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع انواعه : رق الأسر في الحروب ، ورق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

وكانت اليهودية تبيحه ، ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ، ولم تنظر إلى تحريمه في المستقبل . وأمر بولس الرسول العبيد بإطاعة سادتهم كما يطيعون السيد المسيح ، فقال في رسالة إلى أهل أفسس :

أيها العبيد ! أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضي الناس ؛ بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أنه مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدًا كان أم حرًا .

وأوصى الرسول بطرس بمثل هذه الوصية ، وأوجبها آباء الكنيسة ؛ لأن الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من غضب السيد الأعظم . وأضاف القديس الفيلسوف توما الإكويني رأي الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين ، فلم يعترض على الرق بل زكاه ؛ لأنه على رأي أستاذه أرسطو : حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية ، وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب .

ومذهب أرسطو في الرق : أن فريقًا من الناس مخلوقون للعبودية ؛ لأنهم يعملون عمل الآلات التي يتصرف فيها الأحرار ذوو الفكر والمشيئة . فهم آلات حية تلحق

في عملها بالآلات الجامدة ، ويحمد من السادة الذين يستخدمون تلك الآلات الحية أن يتوسموا فيها القدرة على الاستقلال والتمييز فيشجعوها ويرتقوا بها من منزلة الأداة المسخرة إلى منزلة الكائن العاقل الرشيد .

وأستاذ أرسطو – أفلاطون – يقضي في جمهوريته الفاضلة بحرمان العبيد حق (المواطنة) وإجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من سادتهم أو من السادة الغرباء ، ومن تطاول منهم على سيد غريب أسلمته الدولة إليه ليقتص منه كما يريد .

وقد شرعت الحضارة اليونانية نظام الرق العام ، كما شرعت نظام الرق الخاص أو تسخير العبيد في خدمة البيوت والأفراد فكان للهياكل في آسيا الصغرى أرقاؤها الموقوفون عليها ، وكانت عليهم واجبات الخدمة والحراسة ولم يكن من حقهم ولاية أعمال الكهانة والعبادة العامة .... حتى قال : ... والذى أباحه الإسلام من الرق مباح اليوم في أمم الحضارة التي تعاهدت على منع الرقيق منذ القرن الثامن عشر إلى الآن لأن الأمم التي اتفقت على معاهدات الرق تبيح الأسر واستبقاء الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة .

(ثم يقول) في آخر الفصل : إن وصايا الإسلام في مسألة الرق خولفت كثيرًا ، وكان من مخالفيها كثير من المسلمين ولكن الإسلام – على الرغم من هذه المخالفات المنكرة – لا يضيره ولا يغض منه قضاء التجربة العملية عند الموازنة بين جناية جميع المسلمين على الأرقاء ، وجناية الآخرين من أتباع الأديان الكتابية – فالقارة الأفريقية – في بلاد السود – مفتوحة أمام أبناء السواحل المجاورة لها منذ مئات السنين ولم تفتح للنخاسين من الغرب إلا بعد اتصال الملاحة على ساحل البحر الأطلسي في العالم القديم والعالم الجديد .

وفي أقل من خمسين سنة نقل النخاسون الغربيون جموعًا من العبيد السود تبلغ عدة الباقين من ذريتهم – بعد القتل والاضطهاد – نحو خمسة عشر مليونًا في الأمريكتين : عدد يضارع خمسة أضعاف ضحايا النخاسة في القارات الثلاث منذ أكثر من ألف سنة ، وهو فارق جسيم بحساب الأرقام يكفي للإبانة عن الهاوية السحيقة في التجربة العملية بين النخاستين ، ولكنه فارق هين إلى جانب الفارق في حظوظ أولئك الضحايا بين العالم القديم والعالم الجديد ؛ فإن في الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود معزولة بأنسابها وحظوظها وحقوقها العملية . وليس في بلد من بلاد الشرق أمة من هذا القبيل ، لأن الأسود الذى ينتقل

إليها بحسب من أهلها بعد جيل واحد ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم بغير حاجة إلى حماية من التشريع إلى نصوص الدساتير .(انتهى كلام العقاد) .

قارن بين نظام الإسلام أيها اللبيب وبين النظم المعاصرة ، أوجد الإسلام للرق عتقًا وأوجدت الحضارة الحديثة للأحرار رقًّا مع الدعاوى العريضة بحقوق إنسان انتهكوها . وبحرية لفرد استعبدوه ؛ لأنها المناهج الباطلة تتحكم ، والأهواء والآراء تقضي وتحكم ، ولا تزال أمريكا إلى اليوم دولة التقدم يعاني فيها الملون ما يضيق المقام عن وصفه . فالإسلام دين الله يحل المعضلات ويزيل المشكلات ويرسي قواعد العدل والإخاء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

ففي مجتمع الإسلام علاج لعثرات الناس ، ورفع لكبواتهم . فإذا غاب عن إنسان نسبه أو انخلع من قومه لإسلام بعد كفر ؛ فإن الإسلام يسعه برحابة صدر ، وجميل استقبال فلا ينبذه أو يعزله في ملجإ ، يخرج يحقد على الناس من حوله إنما يجعل له الولاء في الإسلام حتى قال النبي ﷺ : « مولى القوم من أنفسهم »[٢] وساواه مع ابن الأخت في حديثه ﷺ فقال : « ابن أخت القوم من أنفسهم »[٣] .

ولاء الإسلام :

مجتمع المسلمين يجعل أهله كُلًّا على من عاداهم، ويسعى بذمتهم أدناهم ؛ لذا فإنه يجعل من أسلم على يدي رجل من المسلمين فهو أولى الناس به ليس ولاء الميراث إنما ولاء النصرة .

وفي ولاء الإسلام : حديث تميم الداري الذي علقه البخاري ، ووصله غيره ونصره العيني في العمدة، أن تميمًا الداري قال: يا رسول الله ما السنّة في الرجل يُسْلِم على يدي الرجل من المسلمين ؟ فقال : « هو أولى الناس بمحياه ومماته » .

نقل ابن حجر في الفتح ، عن ابن بطال قال : لو صح الحديث لكان تأويله أنه أحق الناس بموالاته في النصر والإعانة والصلاة عليه إذا مات ونحو ذلك .

ولاء اللقيط :

يقول الله سبحانه : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه الرجل ضمه إلى نفسه ، وجعل له نصيب الذكر من أولاده ، وكان يُنسب إليه فيقال : فلان ابن فلان ، فجاء الإسلام بنسخ ذلك فأمر أن

يدعوا إلى آبائهم إذا كانوا معروفين ، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولائه ، فإن لم يكن له ولاء معروف قال له : يا أخي يعني في الدين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (فيقال : فلان أخو بني فلان) . يقول ابن كثير : أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم . أي : عوضًا عما فاتهم من النسب ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « أنت أخونا ومولانا » .

أخرج الطبراني في تفسيره بسنده إلى عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال أبو بكرة : قال الله : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ فأنا ممن لا يعرف أبوه . وأنا من إخوانكم في الدين قال : قال أبي : والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارًا لانتمى إليه[٤] .

عن سيرة ابن هشام (كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وألا يجامعاهم على شيء أبدًا فأسلما . فقال لهما رسول الله ﷺ : « تولّيا من شئتما » ، فقال : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « وخالكما : أبا سفيان بن حرب » ، فقالا : وخالنا : أبا سفيان بن حرب) .

وبعد فهذه الجولة التي طالت وتناولت موضوعات هامة ومسائل جليلة في بر الوالدين ، ثم حكم الرقيق ، والعتق في الإسلام وكان للموضوع استطراد ظهر فيه - على سرعة التناول - جمال الإسلام فهو الوعاء الحقيقي للإنسانية يزيل عنها أخطاءها ، ويرفع عنها آصارها ، ويحنو عليها عند ضعفها ليأخذ بيدها - ولا عجب فالإسلام دين الله الخالق ، دين الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . دين الله الذي يأخذ بالإنسان في كبوته ليخرجه منها جوادًا شجاعًا كريمًا ، فإن كبا العبد فحارب الإسلام فوقع رقيقًا رفق به فأحسن إليه المعاملة ، وفتح له أبواب التعلم ، ثم أبواب التعبد ، ووعده أجزل الوعود في الآخرة بمضاعفة الثواب ثم فتح له أبواب الخلاص من الرق في الدنيا واسعة في شريعة الإسلام .

وكذلك إن خرج عبد من كبوة لا ذنب له فيها فوجد لقيطًا لا يدري من والداه ، أو لا يدري من أبوه فالإسلام نسبه وولاؤه والمسلمون إخوانه ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ وليت القانون عندنا ينتبه إلى هذه فيجعل من أراد أن يسمي مولودًا لقيطًا لم يجد له من أهل يعرفون أن يختار له ولاءً عوضًا له عن نسبه فيقال : فلان مولى فلان

أو كلمة نحوها مما أقر عليه الإسلام .

وكذلك إذا لجأ الكافر للإسلام أسمعه كلام الله ثم أبلغه مأمنه . فإذا دخل في الإسلام وجد له في الإسلام ولاء يكفيه عن عشيرته ويأخذ بيده فيصير لهم أخًا .

ولا حاجة بنا إلى المقارنة مع الأنظمة المعاصرة للأمم الكافرة . فكم استعبدت أحرارًا عددهم بالملايين ثم جعلتهم بين الناس منبوذين ، وحرمتهم وظائف وأماكن من أرض الله خالقهم فضلًا عن مخالطتهم ، فإذا حاربت فأسرت من المحاربين فمعسكرات الأسرى حدّث عن التعذيب فيها ولا حرج ثم تدعي أنها حضارة وحديثة .

فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة تأخذ بالعبد لترفع شأنه في الدنيا والآخرة .

تلك لمحات عن صفحة مضيئة من صفحات الإسلام الذي ندعو الله أن تشرق علينا شمسه من جديد وأن تختفي عنا كل عيوب المخالفة له ، والخروج عن شرعه آمين آمين .

محمد صهوت نور الدين

(*) قارن بين قول أبي هريرة رضي الله عنه وقول المطيعي في أمنيته لعلك أن تجد وجهًا للشبه بينهما.

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٢٧ ، ٢٢٧٠) من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٧٦١) من حديث أنس .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٧٦٢) من حديث أنس .

(٤) الطبري (٢١/١٢١) .

قال بعضهم : للبكاء دواعى ، أحدها الفكرة فى الذنوب ، فإن أجابت النفس إلى ذلك وإلا نقلها إلى موقف العرض ، وتلك الشدائد والأهوال .

فإن أجابت على ذلك وإلا فاعرض عليها التَّقَلُّبَ فى أطباق النيران .

قال أحد أقرباءِ رَبَاح بن عمرو القيسى : كُنْتُ أدخل عليه فى المسجد وهو يَبْكِى ، وأدْخل عليه البيتَ وهو يَبكى .

فقلتُ له : أنتَ دَهْرَك فى مَأتم ، فَبَكَى ثم قال : يَحِقُّ لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا .

كيف يختار.. المسلمون حاكمهم؟

بقلم
د . جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى ولجنة البحث العلمي

● تكلمنا في العدد الماضي عن الشروط الواجب توافرها في المرشح لمنصب الخلافة – الرئاسة – حتى يتسنى للمسلمين اختيار الأصلح والأفضل والأقوى على القيام بأعباء ومهام هذا المنصب الخطير ، ونتكلم الآن – بعون الله تعالى – عن كيفية الاختيار ، وهل هناك قواعد شرعية ثابتة في ذلك الاختيار ، وقبل أن نخوض غمار هذا الموضوع نمهد له بمقدمات هامة .

أولًا : ينبغي على المسلم أن يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع المسلم .

● بمعنى أن يكون عاملًا على إرساء دعائم النظام الإسلامي فيما يتعلق بخاصة نفسه ، وفي حدود سلطانه ، وفي المجتمع المسلم كله فيشارك في تدعيم النظام الإسلامي بطاعته لأولي الأمر ومناصحتهم وقبل ذلك بالمشاركة في اختيارهم حسب توجيهات الإسلام وتعاليمه ثم بمعاونتهم ونصرتهم في الحق ، ومحاسبتهم ومساءلتهم إذا تجاوزوا حدودهم ، وأخيرًا بعزلهم وترشيح غيرهم إذا عجزوا عن مهام المناصب الموكولة إليهم ، وليكن قدوته في ذلك أصحاب النبي ﷺ وقد اهتموا بأمر الاختيار والبيعة اهتمامًا جعلهم يقدمون هذا الأمر على تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه ، وقد حرصوا على أن يكون الاختيار معبرًا عن إرادة الأمة وملائمًا لما تقتضيه مصلحة المسلمين .

ثانيًا : لقد ترك

رسول الله ﷺ أمر الاختيار وما يتعلق به للأمة.

● فلم يبين من يخلفه في قيادة الأمة. يدل على ذلك قول عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ[1] لقد ترك الشرع الحنيف أسلوب الاختيار إلى الأمة لتمارس الطريقة التي تراها محققة لمصالحها على ضوء ما يقدمه عصرها وواقعها من تجارب نافعة ورأي مفيد. وقد كان اختيار الراشدين تجسيدا لهذه الحقيقة فلم يتقيدوا في الاختيار بطريقة واحدة.

ثالثا: إن طرق الاختيار التي سلكتها الأمة في عهد الراشدين تعد من قبيل السوابق التاريخية التي يستأنس بها المسلمون في اختيارهم وشوراهم، فالواجب هو الاختيار الحر المبني على الشورى، أما الوسيلة المتبعة فهي خاضعة لسنن التطور. وما لدى الجماعة المسلمة من إمكانات لتحقيق هذا الاختيار الحر. وهذه إحدى نقاط الالتقاء بين النظام السياسي الإسلامي وبين الديمقراطية. وهي التي جعلت - بعد - المفكرين يعدونه نوعًا من الديمقراطية.

● هذا وقد عرف الفكر السياسي الإسلامي طرقا عديدة لتعيين الخليفة استلهمها من واقع المسلمين. منها ما هو مشروع يتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه كالاختيار عن طريق أهل الحل والعقد ومبايعة جماهير المسلمين. والاستخلاف والبيعة. ومنها ما هو غير مشروع في ذاته وإنما فرض على المسلمين وتعايشوا معه درءا للفتنة ودفعًا لأكبر الضررين وهو ما يُعرف بالتغلب والقهر.

الاختيار والبيعة: - وهذه الطريقة من أفضل الطرق المشروعة

● وتجد مستندها في الكتاب والسنة والإجماع وسوابق اختيار الراشدين وأقوالهم في ذلك. أما القرآن فقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وكذا قوله في معرض المدح لجماعة المسلمين. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى. ٣٨] وأما السنة فقد توفي النبي ﷺ ولم يستخلف، فدل تركه النص والاستخلاف على أن هذا حق الأمة تختار من تراه أهلا للقيام على أمرها. وقد هم النبي ﷺ أن يكتب للمسلمين كتابًا يعهد لهم فيه. ثم بدا له فترك ذلك للأمة[2].

● وأما الإجماع فقد

أجمع المسلمون في العصر الأول على جواز انعقاد الإمامة بالاختيار، ولا يقدح في هذا الإجماع ما ادعته الرافضة من القول بالنص. وأما سوابق اختيار الراشدين فنذكر منها اختيار أبي بكر بعد ما دار في سقيفة بني ساعدة، ثم مبايعة المسلمين بعد ذلك في المسجد[٣]، واختيار عثمان بعد مشاورات دامت ثلاثة أيام[٤]، واختيار علي بن أبي طالب وإصراره على أن تكون بيعته في المسجد على رؤوس الأشهاد[٥] ومن أقوال الصحابة في ذلك قول عمر: «من بايع رجلًا من غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يُقتلا»[٦] وقول علي: «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهدًا نأخذ به في إمارة ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا»[٧].

أهل الاختيار: هم أهل الحل والعقد، وهم أهل الشورى الذين يتولون ترشيح الرئيس، والمفاضلة بين المرشحين، ومناصحة الخليفة - الرئيس - ومحاسبته، بل عزله إن اقتضى الأمر ذلك، وجماهير المسلمين تبع لهم في كل ذلك، ولهذا حرص أكثر الفقهاء على تمييز هذه الفئة وبيان الشروط التي تميزها عن غيرها، وتحديد عدد أفرادها ولهم في ذلك اجتهادات.

أما عن شروط أهل الاختيار فإنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكونوا من أهل الولاية العامة - الكاملة - وهذا يشمل الإسلام والعقل والحرية والذكورة.

الثاني: أن تتوافر فيهم شروط خاصة تبرز الواحد منهم عن غيره من عوام الناس. وهي العدالة الجامعة لشروطها والعلم الذي يتوصل به إلى معرفة المستحق للرئاسة، وأن يكون الواحد منهم ملمًّا بثقافة عصره، معروفًا بحسن الرأي وبالحكمة

أما عن عدد أهل الاختيار، فقد تباينت أقوال الفقهاء في ذلك والراجح أن هذه الفئة تتميز بصفاتها لا بعدد أفرادها، ولا مانع من تنظيم ذلك بحسب المصلحة، ولا يجب في اختيار المرشح للرئاسة إجماع هؤلاء، أو أغلبية معينة منهم، بل يكفي في ذلك ترشيح جمهور أهل الحل والعقد، ومبايعة جماهير المسلمين. هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، وهو القول الثابت أمام الانتقاد، والموافق لظروف العصر والمبني على التوسط والاعتدال في تحقيق الاختيار الشوري الحر.

الخطوات المتبعة في عملية الاختيار : -

أولًا : تصفح أحوال المرشحين لتولي منصب الرئاسة ممن توافرت فيهم شروطها ، والترجيح بين المرشحين لتقديم أفضلهم وأقدرهم على تحمل أعباء هذا المنصب الخطير ولكن هل يمكن تقديم أكثر من مرشح في حالة تعدد المرشحين وتكافئهم ليقول الشعب كلمته في اختيار أحدهم ؟

إن السوابق التاريخية لم تسمح لنا بمثل هذه الحالة ، بل كان أهل الحل والعقد يتولون عملية الترجيح ليقدموا للأمة أفضل المرشحين لمبايعته ومع هذا فليس هناك ما يمنع من ذلك شرعًا خاصة وقد بينا من قبل أن الإسلام لم يقيد الشورى بأسلوب معين . وإنما ترك الأسلوب والشكل للأمة تمارسه بما تراه محققًا لمصلحتها .

ثانيًا : قبول المرشح تحمل هذه الأمانة ، وهذا شرط لازم لأن الإمامة عقد والتراضي ركن من أركانه ، ومن حق المرشح أن يقبل هذا المنصب وهذا العبء أو يرفضه لأنه من فروض الكفايات .

ثالثًا : البيعة العامة من جماهير المسلمين .

ويحاول البعض أن يقلل من قيمة هذه البيعة ، وأن يجعلها عملية شكلية تعلن فيها الجماهير عن دخولها في الطاعة وتأييدها لما يراه أهل الحل والعقد ، بحيث يكون وجودها وعدمه سواء .

والحق أن ما يقوم به أهل الحل والعقد ما هو إلا ترشيح منهم لمن يرونه أهلًا لتولي عبء هذا المنصب ، وغالبًا ما يكون لهذا الترشيح قوته عند الجمهور لما لأهل الحل والعقد من منزلة في نفوس الناس ، ولكن هذا لا يعني عدم أهمية البيعة العامة وجدواها .

روى البخاري عن أنس أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات ، فإن الله عز وجل قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين ، فإنه أولى الناس بأموركم فقوموا فبايعوه . وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر .

قال الزهري عن أنس :

سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس[٨].

فلو كانت بيعة السقيفة كافية لما كان هناك داع لجلوس الصديق لتلقي البيعة ، ولما جلس عمر يعدد لهم مزايا أبي بكر ومناقبه وأنه أولى الناس بأمورهم ، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : فالصديق استحق الإمامة لإجماعهم عليه ، ولو قدر أن أبا بكر بايعه عمر وطائفة وامتنع سائر الصحابة عن بيعته لم يصر إمامًا بذلك ، وإنما صار إمامًا بمبايعة جمهور الناس[٩]

مدة الرئاسة : لم يعرف النظام السياسي الإسلامي تحديدًا لمدة الرئاسة ، فالخليفة يظل في منصبه ما دام أهلًا لشغل هذا المنصب فإذا زالت عنه هذه الأهلية بفقد بعض الشروط أو بعجز أو نحوه فإنه يترك منصبه لمن هو أهل له وأجدر به .

والسوابق التاريخية في عهد الراشدين وبعده تؤكد ذلك ، ومعظم كتابات المفكرين والباحثين في الفكر السياسي الإسلامي تؤيد ذلك .

ولكن هل هناك ما يمنع من تحديد – تأقيت – مدة الرئاسة ؟

والجواب .. ليس هناك ما يمنع من تأقيت مدة الرئاسة إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين ، أما إذا كان فيه مفسدة فيمنع لدفع هذه المفسدة ، فالشورى في الإسلام لا تتقيد بأسلوب معين ، ولا تتقوقع في قالب ثابت ؛ بل تساير ظروف الزمان والمكان ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

لا شك أن هذه الطريقة هي أفضل طريق لتحقيق الشورى في عمليه الاختيار المؤدي إلى إفراز أفضل العناصر التي تقوم على أمر المسلمين . وأهل الحل والعقد هم أجدر الناس بتحقيق هذا الاختيار ، لأنهم أهل العلم والفضل ، والناس دائمًا تبع لهم . والله من وراء القصد .

---

(١) رواه البخاري (٧٢١٧) ، ومسلم (١١/١٨٢٣) من حديث ابن عمر .
(٢) رواه البخاري (١١٤) ومسلم (٢٢/١٦٣٧) عن ابن عباس .
(٣) رواه البخاري (٣٦٦٨) .
(٤) رواه البخاري (٧٢٠٧) من حديث المِسْوَر بن مَخرمة .
(٥) رواه الطبري في « تاريخه » (٤٢٧/٤) وذكرها ابن الأثير في « الكامل » (٩٨/٣)
(٦) رواه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس .
(٧) رواه أحمد في « المسند »(١١٤/١) بسند فيه جهالة . (٨) رواه البخاري (٧٢١٩) من حديث أنس .
(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٨ ، وهو اختصار الحافظ الذهبي لكتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية .

أسئلة القراء عن الأحاديث

إعداد الشيخ
أبي إسحاق الحويني

● **ويسأل الأخ أبو حاتم ابن عبد الله عن عدة أحاديث** وبعض قضايا المصطلح ويرجو التطويل فى تقرير مسائل الأصول، ونجيبه أن ما يُسمح لنا من المساحة لا يسع ذلك. ثم إنها مجلة سيارة تتداول بين العوام، وسنحاول أن نوفى له ما يريد باختصارٍ غير مخلٍّ إن شاء الله.

أمَا الأحاديث التى يسأل عنها فهى ثلاثة:

١ - حديث: «من قتل عصفوراً بغير حقه، سأله الله عنه يوم القيامة».

٢ - حديث: «يؤتى بالصراط، حدّه كحد الموسى، فتقول الملائكة: يا ربنا من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقى. قال: فيقولون: ربنا! ما عبدناك حق عبادتك».

٣ - حديث: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا أيها الناس! إنى جعلتُ نسباً وجعلتم نسباً، فقلت: أكرمكم أتقاكم، وأنتم تقولون: فلان ابن فلان أكرم من فلان، وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم. أين المتقون؟».

أما ما سأله فى قضايا المصطلح فأختار منها واحدة وهى أدقها. قال: رأيت بعض العلماء حقق حديثا ثم رجح طريقاً وقال: ولكن هذا الترجيح نظرى. فما معنى هذه العبارة. وجزاكم الله خيراً.

والجواب

أولا: حديث: «من قتل عصفوراً بغير حقه... إلخ».

قُلْتُ: **هذا حديث ضعيف**.

أخرجه أحمد (٢/١٦٦، ١٩٧)، وأسدّ السنة فى «الزهد» (١٠٤ - بتحقيقى)، ويعقوب بن سفيان فى «تاريخه» (٢/٢٠٨) من طريق حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن صهيب الحذاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً به. وقد توبع حماد بن سلمة. تابعه سفيان بن عيينة. فرواه عن عمرو بن دينار لكنه قال: «صهيب مولى عبد الله بن عامر».

أخرجه النسائى (٢٠٦/٧-٢٠٧، ٢٣٩) والشافعىُّ فى « مسنده » (١٧٦٦) ، والحميدى فى « المسند » (٥٨٧) ، والطيالسىُّ (٢٢٧٩) ، وعبد الرزاق فى « المصنف » (رقم ٨٤١٤) والفسوىُّ فى « تاريخه » (٢٠٨/٢ ، ٧٠٣) ، والطحاوى فى « المشكل » (٣٧٢/١) ، والحاكمُ (٢٣٣/٤) ، والبغوىُّ فى « شرح السُّنة » (٢٢٥/١١) .

قال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبىُّ . وليس كما قالا ، لما يأتى . زاد الحميدى فى روايته : « فقيل لسفيان ، فإن حماد ابن زيد يقول فيه : أخبرنا عمرو ، عن صهيب الحذاء . فقال سفيان : ما سمعت عمرواً قال قط : صهيب الحذاء ، ما قال إلا : « صهيب مولى عبد الله بن عامر » . ووقعت هذه المراجعة أيضاً عند الفسوىّ فى « تاريخه » ، لكنه قال : « حماد » ولم ينسبه . ولم أقف على هذه الرواية لحماد بن زيد . لكن الذى وقفت عليه من روايته عند الفسوى (٢٠٨/٢) قال : حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عمرو ... فذكره . فلم يذكر « صهيباً » فلا أدرى أسقط من الإسناد أم لا ؟ ولو ثبت أن حماد بن زيد يرويه مثل رواية حماد بن سلمة لكان مرجحاً قوياً لروايته .

وقد وجدت لسفيان بن عيينة متابعاً . تابعه شعبة بن الحجاج ، فرواه عن عمرو ابن دينار بسنده سواء . أخرجه أحمد (١٦٦/٢ ، ٢١٠) ، والطيالسىّ (٢٢٧٩) ويمكن الجمع بين روايتهما ورواية حماد بأن صهيب الحذاء هو مولى ابن عامر كما ذكر ابن حبان وغيرُهُ .

وخالفهم أبان بن صالح ، فرواه عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه مرفوعاً بنحوه . فصار من « مسند الشريد بن سويد الثقفى » أخرجه الطحاوى فى « المشكل » (٣٧٢/١) قال : حدثنا أبو أمية ، حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، عن أبان بن صالحٍ به .

ولكن أخرجه الطبرانىُّ فى الكبير « ج٧/ رقم ٧٢٤٦ » من طريق يعقوب بن سفيان ثنا خالد ابن يزيد الكاهلى ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبان بن صالح ، عن ابن دينار ، عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه مرفوعاً به .

كذا وقع فى رواية الطبرانى : « ابن دينار » بغير تعيين . والمحفوظ فى حديث الشريد بن سويد أن الذى يرويه هو « صالح بن دينار » عن عمرو بن الشريد . فلست أدرى من الواهم فى رواية الطحاوى ؟ فلعله - إن سلم من التصحيف - أن يكون من شيخ الطحاوى . وهو أبو أمية الطرسوسى . ففى حفظه مقال . ورواية ابن عيينة ومن معه أرجح من غير شك . ولكنى أرجح أنه وقع خطأ من الناسخ أو الطابع . والكتاب ملآن بالأخطاء الفاحشة . غير أن سند هذا الحديث ضعيف . وعلته صهيب مولى ابن عامر . فلم يرو عنه إلا عمرو بن دينار . قال الحافظ فى « التلخيص » (٤/١٥٤) : « وأعلّه ابن القطان بصهيب مولى ابن عامر الراوى عن عبد الله . فقال : لا يعرف حاله » .

وترجمه البخارى فى « التاريخ » (٢/٢/٣١٦) ولم يذكره إلا برواية عمرو . وقال الذهبى فى « الضعفاء » : « لا يعرف » . ولكنه قال فى « الميزان » (٢/٣٢١) : « وعنه عمرو بن دينار فقط . وبعضهم قواه » ولعله يقصد ابن حبان . فقد ذكره فى « الثقات » (٤/٣٨١) وله شاهد من حديث الشريد بن سويد مرفوعا به .

أخرجه النسائى (٧/٢٣٩) . والبخارى فى « التاريخ الكبير » (٢/٢/٢٧٧ - ٢٧٨) . وأحمد (٤/٣٨٩) . وابن حبان (١٠٧١) . والطبرانى فى « الكبير » (ج٧ رقم ٧٢٤٥) . والدولابى فى « الكنى » (١/١٧٥) . وابن عدى فى « الكامل » (٥/١٧٣٧) من طريق عامر الأحول ، عن صالح ابن دينار . عن عمرو بن الشريد . عن أبيه فذكره .

وسنده ضعيف أيضا . وصالح بن دينار ذكروا أنه لم يرو عنه إلا عامر الأحول وقال الحافظ : « مقبول » يعنى عند المتابعة . وعامر ابن عبد الله الأحول فيه مقال من قبل حفظه . وأخرجه عبد الرزاق (ج٤/رقم ٨٤١٣) عن معمر . عن قتادة مرسلا أو معضلا . وله شاهد من حديث أنس رضى الله عنه .

أخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٣/١٠٤٧) من طريق عيسى بن عبد الله السلمى . عن زياد بن المنذر . عن الحسن . عن أنس مرفوعا « من قتل عصفورا عبثا جاء يوم

القيامة وله صراخ عند العرش » .

وأخرجه القضاعى فى « مسند الشهاب » (٥٢٤) عن السرى بن عبد الله السلمىّ ، عن أبى الجارود وهو زياد بن المنذر به . ولعله « عيسى » أو « السرى » أحدهما مصحف عن الآخر . وقد ألمح لذلك شيخنا الألبانى حفظه الله فى « غاية المرام » (ص ٤٨) والسند ضعيفٌ جداً . وزياد بن المنذر كذبه ابن معين .

والسرىُّ قال الذهبىُّ : « لا يعرف ، وأخباره نكرةٌ » .

الثانى : حديث « يؤتى بالصراط ، حدُّه كحد الموسى ..... إلخ » .

قُلْتُ : هذا حديث صحيح . أخرجه الحاكم (٥٨٦/٤) من طريق هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن أبى عثمان النهدىّ ، عن سلمان الفارسى مرفوعاً فذكره . قال الحاكم : « صحيحٌ على شرط مسلم » ووافقه الذهبىُّ وهو كما قالا . ولكن خولف هدبة فى رفعه .

خالفه أسد بن موسى ، والحسن بن موسى ، ومعاذ ابن معاذ ، وعبد الرحمن بن مهدى فرووه عن حماد بن سلمة بسنده سواء موقوفاً على سلمان .

أخرجه أسد السنة فى « الزهد » (٤٣ ، ٦٦) ، وابن أبى شيبة (١٧٨/١٣) ، والآجرى فى « الشريعة » (٣٨٢) . فإن كان لابد من الترجيح ، فرواية الجماعة أقوى ، ولكن لا منافاة عندى بين رواية الوقف والرفع ، فإن هذا كثير فى الروايات . لا سيما ورواية الوقف لها حكم الرفع كما لا يخفى ، إذ لا مجال للاجتهاد فى مثل هذه الأمور التى لا تعرف إلَّا عن طريق الرسل . والله أعلمُ .

الثالث : حديث : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة ... الحديث » .

قُلْتُ : هذا حديث ضعيف جدا .

أخرجه الحاكمُ (٤٦٣/٢ - ٤٦٤) ، والبيهقىُّ فى « شعب الإيمان » (٤٧٧٥) من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، حدثتنى أم سلمة بنت العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب ، عن أبيها ، عن جدِّها ، عن أبى هريرة مرفوعاً فذكره .

قال الحاكمُ : « هذا حديثٌ عالٍ ، غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه » فقال الذهبىُّ : « المخزومى

ابنُ زبالة ساقط » .

وقال البيهقيُّ : «المحفوظ الموقوف» .

وهذا الموقوف الذى أشار إليه البيهقيُّ أخرجه أسد السنة فى « الزهد » (٧٩) والحارث بن أبى أسامة فى « مسنده » كما فى « المطالب العالية » (٢٦٧٣) ، والطبرانى فى «الأوسط» (ج١/ ١/٢٧٥)، وفى «الصغير» (٦٤٢)، والحاكم (٢/٤٦٤)، والبيهقيُّ فى «الشعب» (ج٩ / رقم ٤٧٧٦)، وفى « الزهد » (٧٥٩) من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى هريرة موقوفا عليه وسنده واهٍ ، وطلحة بن عمرو متروك الحديث . وبه أعله الهيثمىُّ فى « المجمع » (٨/٨٤) .

أما قول البيهقى : « المحفوظ هو الموقوف » فلربما أراد أن الأشبه هو الموقوف ، لا أنه محفوظ اصطلاحاً ، إلَّا أن يكون له طريق آخر غير هذا . والله أعلم .

وجملة القول أنه لا يصحُّ مرفوعاً ولا موقوفاً . والله الموفق سبحانه .

الفطرة السليمة

❋ قال الأصمعي: قرأت هذه الآية ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ .

وكان إلى جنبي أعرابي فقلت سهوا : ﴿ واللهُ غفورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فقال الأعرابي كلام من هذا ؟

قلت : كلام الله . قال : أعد .

فأعدت : والله غفور رحيم .

فقال : ليس هذا كلام الله . فتنبهت فقلت : ﴿ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ .

فقال : أصبت ، هذا كلام الله .

فقلت : أتقرأ القرآن ؟

قال : لا .

فقلت : فمن أين علمت أني أخطأت ؟

قال : يا هذا . عزَّ فحكمَ فقطعَ ـ ولو غفر ورحمَ لما قطع !!

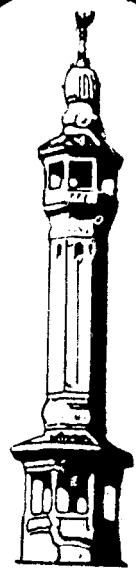

الفتاوى

إعداد

لجنة الفتوى

بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفى

د. جمال المراكبى

السيد الفاضل الشيخ/
صفوت نور الدين

زودك الله بالعلم النافع لك ولسائر المسلمين ، ورزقك الإخلاص وثبتك على الحق المبين وجعلك الله من أصحاب الجنة مع النبيين والصالحين في الفردوس الأعلى ونحن معك إن شاء الله ... آمين .

تحية طيبة وبعد

هنا سؤال أرجو من الله عز وجل أن يفسح صدرك ويرزقك الرد عليه .

أعمل مهندسًا مدنيًّا - أي تنفيذ للمنشآت والمباني - وهذه المهنة لا تمكني من العودة إلى المنزل قبل المغرب تقريبًا ، وعندي مال أريد أن أشتغل فيه أو أعمل بالتجارة ، أي بمعنى آخر أجعل المال يدور دورته حتى لا يظل كما هو ثابت ، خاصة وقد فكرت في هذا الشيء بعد ما أصبح لي الحق في أخذ مالي من البنك والذي كان في صورة شهادات لا تصرف إلا بعد زمن معين ، وقد جاء هذا الوقت . وبعد علمي بما في البنك من ربًا ، وخشية من حُلول عدم البركة في المال .

والسؤال متعلق بالفكرة التي أُشَغِّل فيها المال ، وخاصة كما علمت سابقًا من ضيق وقتي ليلًا بحيث لا أستطيع أن أفتح مشروعًا وأتابعه ، كما أرفض فكرة الاشتراك مع آخر لأني أحب أن أُشرِف على مالي بنفسي ، وفكرة المشروع هي :-

- أي إنسان لا يستطيع شراء أي منتج (أجهزة - ملابس - أدوات معيشة) أقصد أي شيء يحتاجه هذا الأخ ولا يستطيع الحصول عليه وشراءه بسعر فوري (كاش) من الممكن أن يحضر لي ويقول : هذا الشيء متوفر عند المتجر أو المحل الفلاني بسعر كذا ، ويريد أن أشتريه له ، وأقسطه عليه ، فيحدث أن نتفق على السعر الذي سأقسطه عليه وعملية

الدفع « المقدم + عدد الأقساط » ثم أذهب لأشتريه له ، ثم يحضر لبيتي أو أذهب لبيته لتوصيل الشيء له .

● يفهم من السؤال أني لا أملك سوى مال ، أي ليست عندي أية بضاعة ولكني أشتريها عند حاجة الطالب إليها

✸ هل في الكيفية السابقة شبهة ربا أي ما الفارق بينها وبين إعطاء الأخ نقودًا « كاش » لشراء البضاعة ثم تقسيط الفلوس بزيادة مقدار الربح ؟

✸ هل يجوز لي أخذ المقدم من الأخ - أي العربون - قبل شراء المنتج ، حيث من الممكن بعد الشراء يرجع في كلامه ؟

أرجو أن يسع صدرك لهذا السؤال ، ورجاء بعد كتابة الإجابة التي أرجو أن تكون واضحة بضرب الأمثلة وشرح الكيفية السليمة لهذا المشروع ؛ كي يكون بعيدًا عن الربا والشبهة فيه ، أرجو إرفاق السؤال مرة ثانية . ومع الخطاب خطاب آخر مكتوب به العنوان مع طابع البريد ، وأرجو من سيادتكم - فقط - التكرم بوضعه في صندوق البوستة ، وفقكم الله وسدد خطاكم .

حكم بيع التسجيل والتليفزيون

✸ هناك أجهزة الشائع في استخدامها أنها حرام ، مثل التسجيل والتلفاز . فهل لي أن أبيعها ؟

الجواب

١ - يجب أن تتولى عملية الشراء بنفسك ، أو عن طريق وكيلك . وكذلك عملية البيع .

واحذر أن تبيع شيئًا ليس عندك ولا في مقدورك ، ثم تحاول الإتيان به فلا تجده ، أو ربما تجده مخالفًا للمواصفات المتفق عليها مع المشتري ، أو بسعر عالٍ . فيؤدي ذلك إلى خلل في المعاملة .

وتذكر قول النبي ﷺ لا تبع ما ليس عندك . وبعد مراعاة هذه الضوابط ، فمثل هذا العمل جائز .

ولا يجوز لك أن تعطي الأخ نقودًا ليشتري هو ، وتقوم بوضع الزيادة ، فإن هذا هو عين الربا المحرم .

٢ - لا يجوز بيع الأجهزة التي يغلب على استخدامها الجانب المحرم كالتليفزيون وهذا هو الأحوط في هذا الأمر .

والله أعلم

لا يجوز الجمع في الصلاة

٤ - ويسأل عصام مرزوق عبد الله من المنيا - سمالوط - الطيبة عن عمال في مخبز يعملون ليلًا وينامون نهارًا ، ويجمعون صلاة الظهر والعصر معًا والمغرب والعشاء معًا وهذا العمل هو مصدر رزقهم الوحيد ؟

والجواب : يقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ فلابد لصاحب السؤال من الحرص على أوقات الصلاة وأن يؤديها في وقتها فلا يؤخرها، ولا يجوز أن يكون الجمع في الصلاة عادة كما يفعل بعض طوائف الشيعة . فيقومون من نومهم لصلاة الظهر ، وإذا عودوا أنفسهم النوم بعد الصلاة ناموا - إن شاء الله تعالى - ولا يجوز أن يتعمدوا النوم حتى يفوت وقت الصلاة . أما إذا غلب النوم أحدهم فصلاته حين يستيقظ لحديث : « رفع القلم عن ثلاث : النائم حتى يستيقظ ... » .

وحديث : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فذلك وقتها » .

وقول السائل بأن العمل بالمخبز هو مصدر الرزق الوحيد ، فينبغي على المسلم أن يعلم أن رزقه على الله ، فإن التزم العبد طاعة ربه واتقاه رزقه الله سبحانه بفضله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

حكم صناديق

س : أورد الأخ محمد سعيد الطوخي - من شبرا الخيمة صورة ضوئية من صك التكافل الخاص بنقابة التجاريين ، وسأل عن مدى مشروعية هذه المعاملة ؟ .

والجواب : سبق لنا أن تحدثنا عن التأمين التعاوني وبيان مشروعيته في فتوى بعنوان « التأمين التجاري حرام ، والتأمين التعاوني حلال » وذلك في عدد ربيع الأول سنة ١٤١٣هـ فليراجع .

ومعلوم أن صناديق التكافل الاجتماعي التي تشرف عليها النقابات ، وصناديق الزمالة من النوع التعاوني المشروع ، ويدخل تحت القاعدة القرآنية : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

ولكن هذه التعاونيات ينبغي أن تنضبط بضوابط شرعية ، ومن أهم الضوابط ألا يستخدم رأس المال استخدامًا محرمًا بدعوى

٥ - ومن ب - م - ك . الزرقا دمياط تسأل عن مقهى يقدم المخدرات والخمر وقد أدمن بها شباب البلدة فماذا أفعل في ذلك ؟

والجواب : على السائلة الكريمة إزالة ذلك المنكر بما تستطيعه سواء كان بالنصح أو إبلاغ أولي الأمر أو من يستطيع إزالة ذلك لحديث النبي ﷺ : « من رأى منكم

التكافل الاجتماعي

تنميته . وعلى هذا فلا يجوز استغلاله عن طريق البنوك الربوية .

وقد سبق لنا أيضا أن ذكرنا بعض الضوابط الشرعية التي تحكم هذه التعاونيات في عدد ذي الحجة لسنة ١٤١٢هـ بعنوان « صندوق الزمالة جائز بشروط » .

ومن هذه الشروط ألا تُستثمر أموال الصندوق بصورة ربوية ، وأن تكون نية كل عضو التعاون على البر والتقوى . وليس تحقيق المكاسب والأرباح إلخ . فليراجع .

وعليه فينبغي على المشترك أن يتأكد بنفسه من أن هذه الأموال لا توضع في البنوك الربوية ، وأنها تُستثمر بطريق حلال .

ويجب على القائمين على هذه التعاونيات ألا يستبيحوا التعامل الربوي مهما كانت دواعيه .

منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان » ولحديث : « ألا لا يمنعن أحدكم مخافةُ الناس أن يقول بحق إن رآه أو علمه ، فإنه لا يباعد من رزق ، ولا يقرب من أجل أو أن يذكر بعظيم » .

الانتحار.. وقتل النفس كبيرة

س : تسأل أم إسلام — من باب الشعرية — القاهرة .

هل يجوز للمرأة التي تتعرض للاغتصاب في البوسنة أن تنتحر إذا أتيحت لها الفرصة حفاظا على العرض ، أم أن الصبر على هذا البلاء واجب ؟ .

والجواب : الانتحار وقتل النفس كبيرة من أعظم الكبائر لا يجوز للمسلم أن يُقدم عليها ، ولو تعرض للإيذاء البدني أو النفسي .

وواجب على المسلم أن يدفع عن نفسه وأهله وماله ، ويبذل في ذلك طاقته ووسعه ، فإن قُتل فهو شهيد ، خاصة إذا كان أعداء الله هم الذين يرومون الاعتداء عليه .

والمرأة التي تتعرض للاغتصاب كرهًا لا ذنب عليها ، طالما أنها دافعت عن نفسها بحسب طاقتها .

والصبر على مثل هذا البلاء واجب ، مع اتخاذ الأسباب لدفع هذا البلاء ورفعه ، ولا مقارنة بينه وبين الانتحار الذي هو جريمة محرمة .

نسأل المولى تبارك وتعالى أن يعز المسلمين في كل مكان ، وأن يمكنهم من أعدائهم ، إنه أهل ذلك والقادر عليه .

من بدع شهر شعبان

بقلم

سيد بن عباس الجليمي

شهر شعبان من فضائله ما أخرجه البخاري (رقم ١٩٦٩ ، ..) ، ومسلم (١١٥٦) وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان). ومنها قوله ﷺ : « يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » وقد روي من طرق يقوي بعضها بعضًا عن جمع من الصحابة [وانظر الصحيحة (رقم ١١٤٤). والسنة لابن أبي عاصم (رقم ٥٠٩ - ٥١٢)] ومن البدع المحدثة ما ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات قال : ومما أحدث في ليلة النصف الصلاة الألفية مائة ركعة بالإخلاص عشرا عشرا بالجماعة . واهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد . ولم يأت بها خبر ولا أثر إلا ضعيف أو موضوع . ولا يغتر بذكره لها صاحب القوت والإحياء وغيرهما ، ولا بذكر تفسير الثعلبي أنها ليلة القدر » اهـ . وقال العراقي : (حديث صلاة النصف باطل) وقد ذكر ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٢٧ - ١٣٠) أكثر من صورة لصلاة النصف من شعبان . وقال الطرطوشي في كتابه الحوادث والبدع (ص ١٣٢): وأخبرني أبو محمد المقدسي قال : (لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان ، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ٤٤٨ ، قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يعرف بابن أبي الحمراء وكان حسن التلاوة ، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهما ثالث ورابع ، فما ختمها إلا وهم في جماعة كثيرة ، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير ، وشاعت في المسجد ، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ، ثم استقرت كأنها سنة إلى يومنا هذا) اهـ ، وقال الإمام النووي : (صلاة رجب وشعبان بدعتان منكرتان قبيحتان). وانظر ما سبق ذكره في الحديث عن بدعة صلاة الرغائب ، وانظر السنن والمبتدعات (ص ١٤٤ - ١٤٩). والباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ٣٤ - ٣٩)، وانظر أيضًا ما ذكر أخي أشرف بن عبد المقصود في عدد شعبان من العام الماضي (ص ٣٥).

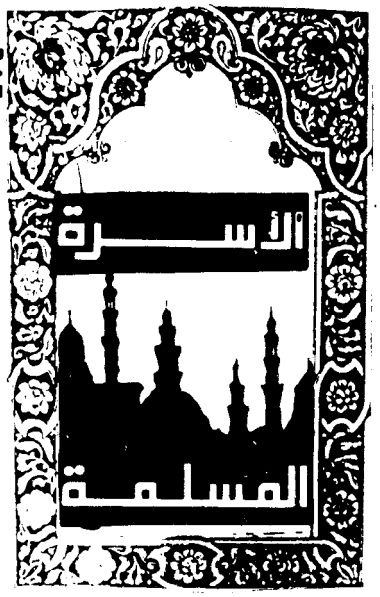

الزواج وحكمة مشروعيته

شرع الله تعالى الزواج لحكم عظيمة ، فيها خير البشرية وفلاحها ، فهو ركن عظيم من أركان الحياة الاجتماعية التي لأجلها خلق هذا النظام الكوني البديع ، ووضعت لها القوانين العادلة والشرائع السماوية ، وذلك لأنه السبب في بقاء النوع الإنساني على أحسن وجه وأكمل نظام ، والطريقة الشريفة لتكوين الأسر وربط العائلات وبث روح الألفة والإخاء بين الأفراد والجماعات ، وهو من مقومات الأمم التي تريد أن تحيا حياة كريمة يسودها الحب والوئام ويرفرف عليها علم الأمن والسلام ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [النحل: ٧٢].

جعله الله رباطًا مقدسًا بين المرء وزجه ، فهو السبيل لعفة النفس ، وحسن السمعة ، وهو أيضًا مظهر من مظاهر الرجولة ، وعنوان على الخلق الكريم ، ولذا كان من سنن الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] .

به تصان الأولاد وتحفظ الأنساب ، وتقل الجرائم الخلقية، والاجتماعية، ويسلم للأمة شبابها القوي، ولولاه لاختلطت المياه ، وضاعت الذرية ، وكثر اللقطاء ، وذلك هو الوأد الخفي

بقلم
فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود
مدير عام الوعظ (سابقًا)

الذي يفت في عضد الأمة . ويضعف شوكتها . ويقلل من هيبتها . ويدري بشرفها وكرامتها .

وغير خاف على ذي لُبٍّ أن الأسرة تعتبر لبنة من لبنات الأمة التي تتكون من مجموعة من الأسر يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعي أن البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو ضعف . فإذا كانت هذه اللبنات قوية متماسكة كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية متماسكة ، وإذا كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال كانت الأمة ضعيفة منحلة .

والأسرة كخلية من خلايا المجتمع الإنساني لا بد أن تعيش بنظام وفق التعاليم والوصايا الدينية . حتى تتحقق الحكمة التي أرادها الله تعالى في قوله : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١] .

عناية الإسلام بتربية الأولاد :

ولا ريب في أن التعاليم الدينية لها أثرها العظيم في تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وصقل الطباع ، وإعداد الأفراد والجماعات إعدادًا سليمًا . ليكونوا مواطنين صالحين يخدمون دينهم ووطنهم بصالح أعمالهم ، وجليل مآثرهم . فلا بقاء لمجتمع صالح سليم دون إعداد اللبنات التي يبنى بها هذا المجتمع في شتى النواحي الخلقية . والثقافية . والصحية والاجتماعية ، حتى يتسنى لكل فرد أن يقوم بحق مجتمعه الديني والوطني والإنساني على الوجه الأكمل ..

ولهذا وصّى الإسلام بتربية الأطفال تربية حسنة وتنشئتهم تنشئة صالحة . وتهيئتهم لأن يشبوا على الشجاعة . والنبل . والحصافة ، بعيدين عن الدنايا . متجملين بالأخلاق الفاضلة . والشيم الطيبة . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »[1] ..

والأسرة هي المكان الأول لذلك ؛ لأنها البيئة الطبيعية ، لنشوئهم وارتقائهم ، وتنمية مواهبهم . وتهذيب غرائزهم ، وتكوين شخصياتهم ..

والأم هي التي عليها المعول في تأديب صغارها وبث روح الجرأة والشجاعة

في نفوسهم وتربيتهم على محاسن الصفات ، ومكارم الأخلاق ، فهي الشجرة المباركة في حديقة الكون، وحين تقدم للإنسانية أزهارها من بنين وبنات ، فإن تربيتهم عطر لسيرتها ، ومجد لتاريخها ، وإذا أهملت هذه الأزهار استحالت أشواكًا بلا عطر ولا ظل ولا ثمر، ومن هنا تتضح المسئولية في تربية النشء ، ووجوب الحذر من الإهمال .. فالأم الصالحة : تُنَشِّئ للوطن ، وتربي للزمن، وترفع بيمينها شعلة الهداية لأطفالها ، ولا تقف رسالتها عند حدود الواجبات المادية في تربية الجسم والرعاية الصحية ، بل هي كذلك مُنبهة للفكر ، وحارسة للأخلاق .

لقد سجل التاريخ عن العباقرة والمفكرين الذين أناروا سبل الحياة للإنسانية أن قد كان لهم من وصايا الأمهات الصالحات ونصائحهن ما أدركوا به الرقي والنبوغ بما هداهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم .. وجَّه أحد العلماء هذا السؤال إلى سيدة فاضلة ، فقال لها : « ألم تُفكري في تأليف كتاب يكون لك أثرًا طيبًا وذكرًا جميلًا ؟ فقالت : لقد صنَّفتُ كتابين عظيمين ، قال: وما هما ؟ قالت : هما ولداي العزيزان ، لقد صنفتهما تربية وتعليمًا ، وإرادة قوية ، وقدمتهما إلى المجتمع نجمين ساطعين ، وكتابين جليلين ، ونقشت في قلبيهما من الفضائل والأخلاق ما لا تتسع له الصحائف والأوراق » .

ومن عجب أن هندًا زوج أبي سفيان بن حرب حين قال لها بعض قومها : « إن ابنك معاوية سيسود قومه، فما كان جوابها إلا أن قالت: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه » ..

وكما يتأثر الأطفال بخلق أمهم ، يتأثرون - أيضًا- بعد طفولتهم الأولى بخلق أبيهم، فهو المسئول الثاني عن توجيههم التوجيه السليم ، وتربيتهم التربية الصحيحة . عن أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده : أن النبي ﷺ قال : « ما نحل والد ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن »[1] .. وقال رسول الله ﷺ : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبًا »[2] .

فرعاية الطفل والعناية بشأنه هي أول ما يجب على الوالدين نحوه ، يحسنان تربيته ، ويقومان بتعليمه ، ويجنبانه مزالق الخطر ، وهما مسئولان عن ذلك مسئولية كاملة ، لا تقتصر على فترة من الفترات ..

فالوالدان عليهما أن يعتنيا بالناحية العقلية في الطفل فيهتما بطريقة تفكيره ، وتذكره للأشياء ، وتكوين العادات العقلية ، ليدرك منها ما يستطيع فهمه

وإدراكه، كما أن عليهما أن يهتما بالناحية الوجدانية فيهذبا انفعالاته ويكوّنا فيه العادات الوجدانية الصالحة ، ويحاولا استئصال العادات السيئة كالثورة لسبب تافه ؛ فإن هذا يسبب له المتاعب الدائمة كما يسببها لمن يتعامل معه عند الكبر .. وعليهما أن يهتما بصحته باتباع القواعد الصحية في مأكله وملبسه ومسكنه بقدر ما تسمح به إمكانات الوالد المادية ، وموارده المعيشية .. وأن يعتنيا بعلاجه من الأمراض . فالعقل السليم في الجسم السليم . وتربية عقله أيضا تكون بالتعليم والتثقيف والتهذيب ، وتربية خلقه تكون بالقدوة الحسنة ، والسلوك الحميد ، والتوجيهات السديدة ، والنصائح الرشيدة ..

فمن أهمل شأن أولاده وترك لهم الحبل على الغارب أو قسا عليهم . أو أساء المعاملة معهم فقد تسبب في خبث نفوسهم ، وفساد قلوبهم ، وضياع أخلاقهم ، وعليه في ذلك من المسئولية الاجتماعية حمل ثقيل ، ووزر عظيم ... وقد أثبت علم النفس «أن ما يلاقيه الطفل من المعاملة الحسنة أو السيئة في السنوات الأولى من عمره سيستمر صداها في نفسه طوال حياته » .

ومن هنا : وصّى الإسلام بحسن المعاملة مع الأولاد ، والرفق بهم .

ولقد كان رسول الله ﷺ يعامل الحسن والحسين رضي الله عنهما منتهى الرفق والحنان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن أو الحسين وعنده الأقرع ابن حابس التميمي ، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا قط ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: « من لا يرْحم لا يُرْحم »[1] ، ورُوي أن عاملا دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم، فتعجب منه ، وعتب عليه ، فقال له عمر: كيف أنت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق ، فقال له عمر: اعتزل عملنا ؛ فإنك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ ؟

فالطفل إذا تربى تربية صالحة في صغره ، وشب على الفضيلة ، وتعود على العادات الحسنة ، والصفات الحميدة ، ووجد من أبويه التوجيه السليم : فلا غرابة أن تنمو فيه هذه الخصال ، وتزداد حسنًا كلما كبر .. وعلى ضوء هذا نفهم سرًّا من أسرار قول النبي ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعًا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا، وفرقوا بينهم في المضاجع »[2] . ولذا قال بعض الحكماء : « إن أهم شيء لمن كان له أولاد: أن يهذبهم ويؤدبهم ، وهذا

أنفع له ولهم من أن يترك لهم ثروة طائلة ؛ لأن الثروة في يد الشاب سلاح يقتل به نفسه وأهله » وقديمًا قيل : « ما ورّث الآباء الأبناء خيرًا من الأدب ، وذلك لأنهم بالأدب يكسبون المال ، وبالجهل يتلفونه » وقال مصعب بن الزبير لابنه : « تعلم العلم ؛ فإن لم يكن لك جمال كان لك جمالًا ، وإن لم يكن لك مال كان لك مالًا ، فالعلم زينة من لا زينة له ، ومال من لا مال له » ..

ثم إن الإسلام لم يكتف بالحث على تربية الأطفال في الصغر ، بل تعداها إلى ما قبل ذلك فقد تدخل لمصلحة الطفل ، قبل أن يولد ، فقد يرث الصغير عن والديه بعض الصفات التي قد يصعب عليه التخلص منها في مستقبل حياته ... فقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث، كما أثبت أن المزاج وهو الذي يتوقف على حالة الجهازين: العصبي والغدّي يتأثر - أيضًا- بالوراثة، وهذه الأشياء التي توصل إليها علماء النفس قد أشار إليها الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان أو يزيد فَوَصَّى بملاحظتها .

فإن لم يحسن الآباء تربية أولادهم شَبُّوا على الرذيلة ، وصعب إصلاح حالهم ، فإن من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه ...

فالطفل صورة مصغرة لأبويه يرث منهما كثيرًا من الصفات الفاضلة أو السيئة ،

الصفات كما قرر بعض العلماء لها وجود حقيقي في النطفة ، والنطفة كما هو معلوم أمشاج تخلق من إفرازات جميع الجسم ، فليس غريبًا أن تكون جنينًا على مثال الأصل الذي نشأت عنه ونبعت منه ... وهذا السر العجيب هو سر مشابهة الفروع للأصول ويفسر اشتهار بعض الأسر بصفة من الصفات الجسمية أو الخلقية ..

(١) ابن ماجة (٣٦٧١) والعقيلي (٢١٤/١)
(٢) الترمذي والحاكم وغيرهما . وضعفه الألباني (١١٢١) .
(٣) البيهقي في الشعب (٨٦٦٥) وقال الألباني ضعيف جداً .
(٤) رواه البخاري .
(٥) أبو داود (٤٩٥، ٤٩٦) والدارقطني (٨٥/١) والحاكم (١٩٧/١) وغيرهم وإسناده حسن .

تحويل القبلة

بقلم
أ . فتحي عثمان
عضو جماعة أنصار السنة

نقل الإمام القرطبي عن أبي حاتم البستي قال : صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيام . وذلك أن قدومه ﷺ المدينة كان يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة ، خلت من شهر ربيع الأول . وأمره الله عز وجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف الأول من شعبان .

ويحكي ابن كثير في البداية والنهاية ، وكذلك في تفسيره أن ذلك كان في رجب سنة اثنتين على رأس ستة عشر شهرًا . على أن الخلاف في وقت التحويل لا يهمنا بقدر ما يفعله الناس في المواسم بما طغى على ما وقع فيها من أحداث هامة من أمر الإسلام .

معنى القبلة :

القبلة : هي الجهة التي يولّي الإنسان وجهه شطرها في صلاته أو هي المكان المقابل الذي يستقبله الإنسان في الصلاة أو في أثناء العبادة .

وعن قبلة الأنبياء السابقين يقول الشيخ أبو الوفاء درويش في كتابه «القبلة» : ليس لدينا نصوص صحيحة نعرف منها أين كانت القبلة التي كان آدم وذريته ونوح ومن معه يولّون وجوههم شطرها، أما عَنْ قبلة إبراهيم- عليه السلام- فإنه قبل أن يرفع القواعد من البيت فليس لدينا نصوص تدلنا على القبلة التي كان يتجه إليها وأما بَعْدَ أن بنى البيت الحرام المبارك ببكة فلا شك أن البيت كان قبلته وقبلة إسماعيل وقبلة العرب بعد ذلك . والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن

مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ولما بعث رسول الله ﷺ كان وهو في مكة يصلي واضعًا الكعبة وبيت المقدس أمامه . فلما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وبنى مسجده فيها جعل قبلته إلى بيت المقدس . لعل اليهود وهم يساكنوه المدينة إن رأوه يصلي إلى قبلتهم حملهم ذلك على الإنصاف . والإزعان للحق وترك ما هم عليه من الجحود والمكابرة والحسد ومع ذلك فلا عجب أن نرى تشوق الرسول ﷺ ورغبته في أن تكون قبلته قبلة إبراهيم عليه السلام . فقد بعث بإحياء ملته ، وتجديد شريعته وإظهار دعوته .

ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ خليل هراس في مقال له عن تحويل القبلة إذ قال: روى الكلبي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى :

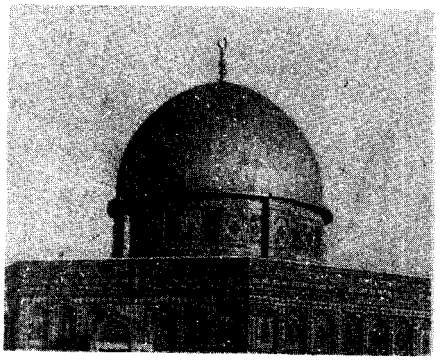

قبة الصخرة

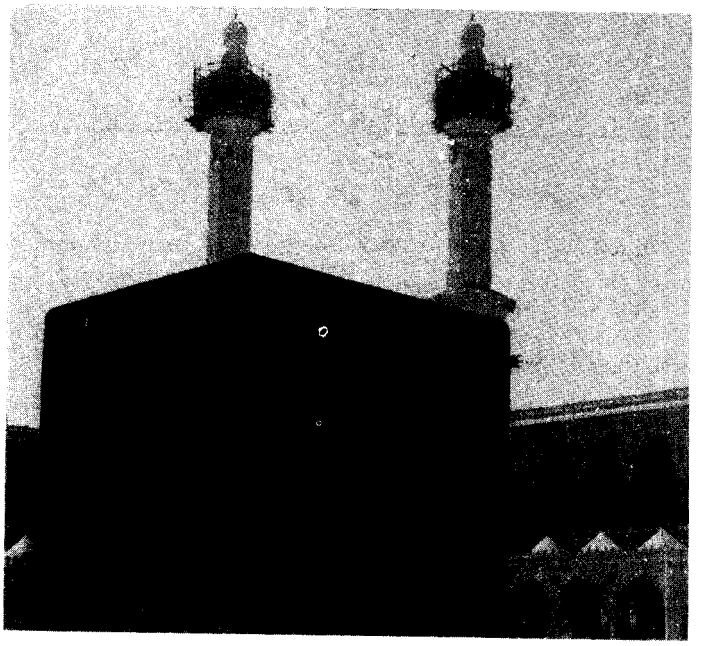

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال له جبريل : إنما أنا عبد مثلك لا أملك لك شيئًا فسل ربك يحولك عنها إلى قبلة إبراهيم فأنزل الله هذه الآية .

عبرة وحكمة التحويل:

لما كان شأن التحويل عظيمًا فقد كان امتحانًا امتحن الله به قلوب المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب ،

وقد مهد الله تبارك وتعالى لهذا الأمر بقوله :﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

فأما المؤمنون فقد ثبتهم الله واتبعوا الرسول ، وصلوا إلى القبلة الجديدة دون اعتراض أو نكير ، بل عن رضًا وإيمان وتسليم .

أما المنافقون فقد كان لهم موقف آخر إذ راحوا يقولون: ما يدري محمد أين يتوجه. إن أمره لمضطرب . لئن كانت القبلة الأولى حقًا ، لقد تركها وانصرف عنها إلى غيرها باطلًا . وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل أول الأمر ثم اهتدى .

أما اليهود فقد قالوا : إن محمدًا قد خالف الأنبياء قبله ولو كان نبيًا حقًا لاتبع قبلة من كان قبله من الأنبياء .

وقال المشركون: يوشك محمد أن يرجع إلى ديننا ، بعد أن رجع إلى قبلتنا . ونظرًا لما صاحب أمر التحويل من الإرجاف والطعن فقد نزلت قبله آيات كثيرة تتحدث عن النسخ الذي كان اليهود ينكرونه ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] كما تحدثت عن رغبة أهل الكتاب في أن يردوا المؤمنين كفارًا مثلهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٩] ثم ذكرت الآيات بعد ذلك أن اليهود والنصارى يختلف بعضهم على بعض ويشهدون بعضهم على بعض بأنهم ليسوا على شيءٍ وهم يتلون الكتاب .

وإنه لمن تمام النعمة على الأمة التي تعد شريعتها متصلة بشريعة إبراهيم ومجددة لها أن تكون قبلتها هي قبلة إبراهيم لتتم لها الهداية والنعمة . تحقيقًا لقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٠] .

فتحي أمين عثمان

❋ قال حكيم لابنه : يا بني أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم :
لا تلاح حديدًا ، ولا تشارك غيورًا ، ولا تساكن حسودًا ، ولا تجاور جاهلًا ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائيًا ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلًا ، ولا تستودع سرّك أحدًا ، واتق الله في أمورك كلها .

الروتاري ومصادر التمويل

بقلم
أ . د سعد الدين السيد صالح
عميد كلية أصول الدين
الزقازيق

تتم مصادر التمويل من الأعضاء الذين يلتزمون بدفع ما يأتي :

١ – رسوم الالتحاق .

٢ – رسوم الاشتراك السنوي .

٣ – رسوم الاشتراك في مجلات الروتاري المحلية والعالمية .

٤ – مبالغ ثابتة تحصل من كل عضو يحضر وجبات الغذاء .

٥ – التبرعات التي يفرضها رئيس النادي .

٦ – قيمة زمالة (بول هاريس) ألف دولار .

٧ – الإسهام في الأسواق الخيرية .

٨ – الإسهام في الحفلات الغنائية بشراء عدد من التذاكر لحساب الشركة أو الإدراة التي يعمل بها[1] .

تجمع كل هذا الإيرادات ثم يودع الجزء الأكبر منها بحساب المؤسسة الدولية لأندية الروتاري .

وقد أذاع مجلس أمناء المؤسسة الدولية الأرقام الخاصة بالمؤسسة حتى آخر ديسمبر ١٩٧٨ والتي بلغت (١٣٢) ألف دولار من حصيلة بندٍ واحدٍ وهو الحصول على زمالة (بول هاريس) وللأسف الشديد منهم ٧٨ عضوًا من مصر = ٧٨ ألف دولار والباقي من أعضاء المنطقة ٢٤٥ في البحرين والأردن وقبرص ولبنان والسودان . وقد تم توريد المبلغ لحساب المؤسسة الدولية، وقد أسهم نادي روتاري القاهرة وحتى ١٩٧٩ بثلاثة وثلاثين ألف دولار في المؤسسة الروتارية الدولية وهكذا سائر المناطق في العالم مما يشكل ابتزازًا واضحًا للأموال، ولكن المؤسسة الروتارية الدولية لا تضيع هذه الأموال وإنما تنفقها في تحقيق الخطة الماسونية فهي ترسل لهذه الدول (منحًا تعليمية) للشباب حيث يذهبون إلى أوربا ويخضعون لبرنامج خطير من غسيل المخ والترويض على الإباحية وحرية الجنس حتى لا يخجلون بعد ذلك من أعضائهم الجنسية كما هو الهدف الماسوني في تحطيم مبادئ

● المؤسسة الدولية للروتاري تنفق على الخطة الماسونية من أموال أعضائها بالدول العربية

● منح تعليمية للشباب العربي لتروضهم على الإباحية والحرية الجنسية.

الأديان والأخلاق".

وكان نصيب مصر من هذه المنح سفر (٣٠) شابًا وفتاة فرادى يقيمون فيها لدى أسرة روتارية في البلد الذي يسافرون إليه وفي المقابل يأتي إلى مصر عدد مثل هذا العدد لتمرين الأسرة المصرية على الحياة الأوروبية أو اليهودية. وكل هذا لحساب (السلام الدولي والتفاهم العالمي) كما هي أهداف الروتاري المعلنة.

أنواع نوادي الروتاري

إمعانا في إحكام القبضة على سائر الطبقات التي يمكن الاستفادة منها في تحقيق الهدف قسم الموجهون والذين يحركون بأيديهم خيوط العرائس المسرحية نوادي الروتاري إلى أربعة أقسام

١ - نوادي الروتاري العامة وهي تختص بالكبار من الرجال.

٢ - الإنرويل وهي الأندية الخاصة بالسيدات زوجات وشقيقات أعضاء أندية الروتاري للرجال ولها أيضا تقسيمات جغرافية عالمية يحمل كل قسم منها اسم «منطقة الإنرويل» ويحمل رقمًا خاصًا. ومصر والأردن تضمهما منطقة إنرويل واحدة وتحمل رقم (٩) وطبعًا هن فرسان عروض الأزياء وحفلات الرقص والغناء، وهن الدافع والحافز لأزواجهن على التبرع، وفي إمكانهن أن يقمن بأشياء كثيرة لا يستطيع أن يقوم بها الرجال - المهم أن يسرن نحو تحقيق الهدف !!!

٣ - الروتراكت لضم أبناء وأشقاء وبنات وشقيقات أعضاء وعضوات أندية الروتاري والإنرويل ممن لا يقل عمرهم عن ١٨ سنة ولا يزيد عن ٢٨ سنة، وهن يمثلن الصف الثاني الذي يقوم بما يعجز عنه الكبار من زيارة للملاجئ وجمع للتبرعات، واختلاط يؤهلهم لكي يكونوا جيلا جديدًا متحررًا من الدين والأخلاق.

٤ - الإنتراكت وهو خاص بطلبة المدارس الإعدادية والثانوية ممن تقل

أعمارهم عن ١٨ سنة ، وقد أضيف إليهم أطفال الحضانات ، وهؤلاء يخضعون لبرنامج تعليمي مكثف يضمن الولاء الكامل لنوادي الروتاري وأهدافها حيث يتعلمون المساواة بين الجنسين والتعود على الاختلاط وحرية الجنس وعدم الخجل من الأعضاء التناسلية[٣] بحيث يشكلون الجيل الذي تهدف إلى خلقه الماسونية بحق .

وهكذا نلاحظ أننا أمام خطة محكمة ممسكة بخناق المجتمع وكأنها فَكًّا كماشة ، أو فَكًّا حية رقطاء صممت على أن لا تترك هذه المجتمعات إلا وهي جثة هامدة .

وتلك هي الحية اليهودية التلمودية الصهيونية الماسونية التي تريد أن تعيد صياغة المجتمعات طبقًا لأهدافها الخطيرة في السيطرة على العالم .

إنها تريد أن تخلق مجتمعًا مجردًا من مبادىء الأخلاق والأديان حتى تتمكن بسهولة من السيطرة عليه ، لأن الأخلاق والأديان هي العصب الذي يمسك الأمة من التفكك فهي تجمع الناس حول معتقدات وقيم مشتركة يؤمنون بها ويحافظون عليها ، وهم على استعداد للموت من أجلها ، فإذا ما ذهبت الأخلاق – من خلال المنهج الماسوني – ذهبت الأمم إلى غير رجعة ولقد صدق الشاعر حين قال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أهداف نوادي الروتاري

لهذه النوادي أهداف معلنة وأهداف مستترة، أما الأهداف المعلنة فتنحصر في هدفين أساسيين .

الأول : هو الخدمة العامة ومساعدة المحتاجين ، وإنشاء ملاجىء للأيتام ومراكز علاجية للفقراء وغير ذلك مما يندرج تحت الخدمة العامة الموجهة إلى الإنسان بصرف النظر عن دينه أو جنسيته أو وطنه .

الثاني : هو تعزيز التفاهم الدولي والنية الصادقة وحب السلم ، وتوثيق أواصر الإخاء والصداقة وإزالة أسباب الفرقة والخصام بين الشعوب ، وهذا طبقًا للنص الوارد في صلب القانون الأساسي للروتاري[٤] .

هذه هي الأهداف المعلنة التي تختفي وراءها أنشطة الروتاري ، أما الأهداف الحقيقية فتتمثل فيما يأتي :

أولًا : أن تكون مراكز للتجسس ونقل المعلومات حيث يجتمعون دوريًّا على المستوى المحلي والقطري والإقليمي والدولي فيأكلون ويثرثرون ، ويَدْعُون المتخصصين في شتى فروع المعارف ، أو المسئولين في مختلف المواقع المؤثرة ليحاضروهم فيما استشكل عليهم أو غاب عنهم من معلومات ، وذلك بقصد رصد الأخبار والتقاطها وتصنيفها وتقديمها لمن يهمهم الأمر وهم (مجلس شيكاغو) الماسوني للعلاقات الخارجية[٥] .

ذلك أنه من لجان نوادي الروتاري لجنة تسمى بلجنة العلاقات وهذه اللجنة مهمتها أن تعد حصرًا شاملًا لنشاط المجتمع ، عدد العمال وأنواع المهن ، ومدى علاقة العامل برب العمل ، وشكل الحكم وأنظمته وعدد الناخبين ، وعدد المتخصصين في كل فرع من الفروع[٦] .

قد تقول وما الفائدة التي تعود على اليهود من تتبع أخبار المجتمعات ؟ والجواب إن هذه الأخبار التي يظن الناس أنها أخبار عادية كان اليهود قديمًا يجندون من أجلها آلاف العملاء في مختلف المجتمعات لإمدادهم بها ، لأنهم من خلالها يستكشفون حقيقة المجتمع ، ومدى قوته ، ومدى ضعفه ، وكيفية مواجهته. ولكي نعلم مدى أهمية هذه المعلومات عليك أن تعرف أن القوى العالمية والمعادية كانت تستقي هذه الأخبار قديمًا من صفحات الجرائد وخصوصًا صفحات الوفيات والاجتماعيات وأخبار الناس ، فضلًا عن الجواسيس والعملاء .

ولكن بعد إنشاء هذه النوادي أصبحت أخبار الدنيا كلها تحت يد الماسونية العالمية ، لأن هذه النوادي منتشرة في كل مكان في العالم .

ثانيًا : أن تكون مركزًا للتدريب ومدرسة تجهيزية تعد الأعضاء للفكرة الماسونية وتمهدها لخدمة الصهيونية العالمية .

ثالثًا : القضاء على كراهية الناس للشعب اليهودي وربما عبر الروتاريون عن هذا الهدف بفكرة (تعزيز التفاهم الدولي وتوثيق أواصر الإخاء) وهو الهدف المعلن لهم .

فهذا الهدف يخفي وراءه هذه الحقيقة المرة - (التفاهم الدولي) معناه أن يتنازل العرب عن حقهم في فلسطين (والإخاء معناه أن نترك الجهاد في سبيل الله من أجل المحافظة على الأخوّة مع اليهود ، وأن نتنازل عن ديننا وعقيدتنا حتى لا تكون عائقًا أمام الأخوة ، وأن نتنازل عن وطنيتنا حتى لا تكون حاجزًا أمام المد اليهودي والسيطرة العالمية) .

رابعًا : ترويج بعض الاتجاهات والأفكار الهدامة البعيدة عن الولاء للوطن ، أو الدين خاصة وأن الكثير من الروتاريين لهم سيطرة على أجهزة الإعلام والتوجيه بمعنى أن هذه النوادي تعتبر مراكز لتغريب المجتمعات الإسلامية بما تعبر عنه من أفكار وقيم وممارسات لا تتفق مع تعاليم الإسلام .

---

(١) حقيقة الروتاري في مصر ص ٢٨ . (٢) الروتاري في قفص الاتهام ص ٩٨ .

(٣) راجع ص ١٣٦ وما بعدها من الروتاري في قفص الاتهام .

(٤) الماسونية في المنطقة (٢٤٥) ص ١٢٥ .

(٥) الماسونية عقدة المولد - ص ١٢ .

(٦) راجع كتاب « دليل مهام رؤساء لجان أندية الروتاري » .

وقفات مع القصة في كتاب الله

دروس..

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون . وبعد .

فالقصة في كتاب الله لم تأت لغوًا ولا حشوًا - تعالى الله عن ذلك - ولم تأت لمجرد الحكاية والتسلية لقطع الوقت فيما لا يفيد كما هو الحال في غالب حكايات البشر ، ولم تأت القصة في كتاب الله لنشر مذاهب هدَّامة تحارب الفضيلة ، وتنشر الرذيلة ، كلا بل جاءت القصة في كتاب الله لمقاصد سامية وأهداف عالية أجْملها الله سبحانه في قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلِكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

فالقصة القرآنية نبعٌ من الحكمة لا ينضب ، وبحر زاخر بالدروس والعبر تستحق من أولي الألباب التأمّل والنّظر ، خبرها الصدق ، وقولها الحق تهدي من اعتبر إلى صراط الله المستقيم ، وتصدّق مسيرة المرسلين من لدن آدم ومرورًا بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وتصلُهم جميعًا بخاتم النبيين محمد عبد الله ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله للعالمين مبشرين ومنذرين ودعاة إلى توحيد رب العالمين .

ذلك أنها ليست من نسج خيال البشر ، ولا من نتاج عقولهم أو تسطير أقلامهم ولكنها تنْزيل من حكيم حميد .

فضيلة الشيخ
عبد الرازق السيد عيد

من قصة آدم عليه السلام

قال الله تعالى مخاطبًا نبيَّه ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

وفي محاولة متواضعة نلجُ هذا المَوْلج نتلمَّس الهداية ونستظل بأسباب الرحمة ونبحث عن مواطن العبرة في القصة القرآنية سائلين الله التوفيق والسداد ، والهداية والرشاد في الحياة الدنيا ويوم المعاد .

ونبدأ بقصة الإنسانية متمثلة في قصة أبيها الأول آدم عليه السلام ، قصة التكريم الإلهي لآدم وذريته ، قصة الصراع الأبدي بين الإنسان والشيطان من خلالها يتعرف الإنسان على أصل نشأته ، ويعرف لماذا خلقه الله ؟

وما علاقة الإنسان بالأرض التي يعيش عليها ؟ وما علاقته بالكون من حوله علويه وسفليه ؟ وما مصير الإنسان بعد موته ؟ وهذه الأسئلة الخطيرة التي تُحدِّدُ دَوْرَ الإنسان على هذه الأرض قد حارت العقول فيها قديمًا وحديثًا ولم تستطع الإجابة الصحيحة عليها ، ولم تجد إلا أوهامًا أو تخرُّصات ، ذلك أنها لن تجد الإجابة الصحيحة على هذه الأسئلة إلا عن طريق الوحي المعصوم المنزَّل من لدن الحي القيوم ، والسبب بسيط جدًّا فالعقول مخلوقة وليست خالقة ، ولم تشهد خلق السماوات والأرض ولم تُساعد الله في خلقها ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ، وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] .

فإذا كان الإنسان لم يشهد خلْق نفسه ولا خلْق غيره ، ولم يشهد خلق السماوات والأرض عندما خلقها الله[1] فهل يستطيع أن يعرف الحكمة إلا عن طريق الحكيم العليم الذي خلق فسوى والذي قدَّر

فهدى . وأي محاولة لمعرفة الحق في هذه الأمور بعيدًا عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبعيدًا عن سنة رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ، تبوء بالفشل وترجع الضلال ، وسنمسك الآن عن الخوض في هذه الضلالات التي وقعت فيها البشرية عندما انحرفت عن هداية الله في هذا السبيل حتى لا يتشعَّب بنا البحث ، ويكفينا في هذا الموطن تقرير الحق الذي أنزله الله وبيانه ، لكن هذا لا يمنعنا من ذكر بعض من تلك الضلالات لمقارنة الحق والباطل وبيان نور الحق وزيف الباطل وذلك في موضعه من الدروس إن شاء الله تعالى ، ولنشرع فيما قصدناه والله من وراء القصد .

الدرس الأول : استخلاف آدم في الأرض

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى لملائكته أنه عز وجل خالق خلقًا يستعمرهم في الأرض ويجعل بعضهم يخلُف بعضًا فيها وهذا هو المعنى الذي قرَّره الله في مواضع أخرى من كتابه حيث قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] . ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ [فاطر : ٣٩] وإذا تقرر بوضوح أن مهمة آدم وذريته في الأرض هي عمارتها يتعاقبون على هذه العمارة جيلًا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] ومن رحمة الله ولطفه بآدم أنه لم يتركه يتخبط في الأرض حيران بل هداه سبحانه إلى ما يستقيم به أمره وهداه إلى مايصلح به شأنه قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] قال أهل التفسير : علم الله آدم أسماء الدَّوَابِّ والنباتات والجمادات ، وهذه أسماء الأشياء الموجودة على الأرض تمهيدًا لقيام آدم وذريته بعمارة الأرض (صناعة ، وزراعة ، وتشييدًا) ، وهذا القدر من الهداية الفطرية ممنوح لكل إنسان مؤمن أو كافر سواء بسواء .

لكن لمَّا كانت أيام آدم وذريته على الأرض معدودة ، وخطواته عليها محسوبة ، وأعماله عند الله مكتوبة فإنَّ هذه العمارة المادية ليست مقصودة لذاتها ، وإنما هي وسيلة لغاية أكبر . فإن الإنسان وإن ولد على الأرض وعاش عليها إلا أنه سيموت ويبعث ويحاسب ، وهذه الدنيا ليست دار قرار ، إنها ممر ، وفي الآخرة المستقر ، وإنها لنار أبدًا ، أو جنة أبدًا هذا من جانب ، ومن جانب آخر لن تستقيم للإنسان حياته في هذه الدنيا إلا بهداية أخرى اختيارية تأتي على لسان رسل الله المبعوثين بالهداية في كل زمان ومكان ، فالإنسان وإن فُطِر على معرفة الأسماء لكنه لا يعرف الخير والشر[٢] .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم

[illegible] ﴿ طه ١٢٣ - ١٢٤ ﴾ فالاعراض عن الذكر المقصود به الإعراض عن منهج رسل الله وهذا يؤدي إلى الضنك . اي الشدة والعنت . ولما كان الإنسان من طبعه النسيان بعث الله رسله للتذكير دائما بهذه الحقائق التي يتشاغل الناس عنها في رحمة الحياة . قال تعالى : ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] فالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة هو بلا شك للذين آمنوا بالله ورسله واليوم الآخر ، وآمنوا بالقدر وآمنوا مما أنزل الله على ألسنة رسله . واستقاموا على ذلك عقيدة . وسلوكا

فإذا استقر في خلد الإنسان أنه مخلوق على هذه الأرض لغاية محددة وأن مكانه الدائم ليس عليها وأن مكانه الصحيح في الجنة التي وعد الله عباده المتقين أو النار التي أعدت للكافرين . استقام سلوكه ولا شك على الجادة إن كان من العقلاء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ [illegible] ﴿ البينة ٦ ، ٨] فخير الخلق على الإطلاق هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وشر الخلق على الإطلاق هم الذين انحرفوا عن منهج الرسل .

وهنا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا سؤالا مهمًّا ما هو البديل لمنهج الرسل ؟ حين يترك الناس طريق ربهم وخالفهم ما هو البديل ؟ لا بديل إلا أن يتخذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله ، ويتبعون فلسفات عقلية عقيمة لم تأت بخير بل جاءت بكل شر « قد سمع الناس إلى المادية التاريخية فقالت إن الإنسان عملة اقتصادية في سوق الصناعة والتجارة ، تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطلب واستمع الناس إلى الفاشية فقالت لهم : إن الإنسان واحد من عنصر سيد أو عنصر مسود واستمع الناس إلى « العقلية »

فقال لهم قائل منها : إن « إنسانيته » كذلك شيء لا وجود له ووهم من أوهام الأذهان ، وأن الشيء الموجود حقًا هو الفرد الواحد! »[٣] وما الاشتراكية البائدة والرأسمالية السائدة - إلى حين - إلا امتداد لهذه الفلسفات الضالة المضلّة فالاشتراكية جعلت الإنسان كالترس في الآلة لا حرية له ولا اختيار ، والرأسمالية أطلقت له العنان في كل شيء بلا حدود ولا قيود إلا من نفسه التي امتلأت أنانية ، وغرورًا ، ورغبةً في السيطرة وما فعلته الاشتراكية (الشيوعية) بالناس لا يحتاج إلى مزيد بيان .

وما تفعله الرأسمالية اليوم ونظامها العالمي الجديد واضح للعيان .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[الروم : ٤١] .

وبعد فليس أمام الإنسان إن أراد التوازن بين الدنيا والآخرة ، إن أراد السعادة في الدنيا والآخرة ، إن أراد الاستقامة في السلوك بينه وبين إخوانه من البشر ، بل إن أراد الاستقامة بينه وبين نفسه التي بين جنبيه إن أراد تحقيق ما أُنيط به من مهمة الاستخلاف في الأرض . أقول إن أراد الإنسان الاستقامة في كل ذلك فليس أمامه غير القرآن : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] وهنا كلام جيد للعقاد أذكره : (... ولا يستطيع ناصح أن ينصح أهل القرآن بعقيدة في الإنسان والإنسانية أصح وأصلح من عقيدتهم التي يستوحونها من كتابهم الكريم ، إن القرآن لا يُلقي بالإنسان غريبًا منقطعًا ضال الطريق بل يضعه عِلمًا وديّنًا في موضعه الصحيح ، ويمدُّهُ من تعاليمه وأحكامه وحدوده وهداه بما يكفل له خير الحاضر والمستقبل ، وبما لا تستطيع عقيدة أخرى إمداده به)[٤] .

وإننا نؤمن بهذا ونحن على يقين منه لأن القرآن كلام الله أنزله على خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله . والكون كله بما فيه الإنسان من خلق الله . ولا يعلمُ ما يُصلح الخلْق إلا الخالق سبحانه . وقد أنزل دلك في كتابه الكريم وأوضحه بطريقة لا يحيد عنها إلا هالك ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [تبارك : ١٤] بلى يعلم سبحانه ويعلم بواطن الأمور وظواهرها ، ويعلم دقائقها وعظائمها ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [**الأنعام: ١٠١-١٠٣**].

وإن المرء ليعجب من أهل القرآن حين يغفلون عن هداية القرآن ويذهبون يستجدون على موائد اللئام .

(١) هذا فضلًا عن كون الإنسان مخلوقًا وليس خالقًا .

(٢) نعم لا يستطيع الإنسان تحديد الخير المطلق أو الشر المطلق وإن عرف بعض ذلك فهو لا يملك حَمْلَ نفسه على الخير أو منعها من الشر وواقع العالم يشهد لما نقول فقد يباح المنكر بقانون بينما يحارب المعروف بنفس القانون .

(٣) من كتاب الإنسان في القرآن للعقاد .

(٤) الإنسان في القرآن مع بعض تصرف .

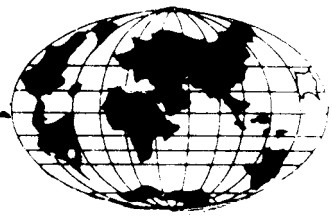

رئيس مركز التوعية الإسلامية بالهند يتحدث للتوحيد

بعد انهيار الشيوعية لم يعد للاستعمار الغربي إلا الإسلام، وقد أفلح في صالح الإسلام لأنه بعث الصحوة الإسلامية في قلوب المسلمين

استكمالاً للحوار الذي بدأناه في العدد السابق سألنا ضيفنا هذا السؤال:

• • ما هي العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية في الهند ؟

مما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية تواجه مشاكل كثيرة من أهمها التشتت والفرقة بين صفوف المسلمين بالإضافة إلى انتشار البدع والخرافات والشركيات الصغيرة التي يقع فيها معظم المسلمين مثل تقديس الأضرحة والمتصوفة . كما يعتبر عدم معرفتهم باللغة العربية وآدابها من أهم وأخطر المشاكل والتحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية .

ويرجع السبب في تقصير المسلمين في مجال الدعوة هو أن المسلمين تأثروا كثيرًا من طقوس الوثنيين وعاداتهم . فالدعوة في الهند تحتاج إلى علماء يعملون على محاربة هذه الوثنية وتلك البدع والخرافات . لأن معظم الديانات الأخرى المنتشرة في الهند متعطشة لمعرفة تعاليم الإسلام الحقيقية والصحيحة ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق علماء ودعاة على درجة عالية من العلم الصحيح على أن يكون منهجهم منهج أهل السنة والجماعة .

• • علمنا أنكم ترأسون جمعية أهل الحديث التي تسير على منهج أنصار السنة المحمدية ، فما هي أهداف جمعية أهل

الحديث الهندية ؟ وما هي وسائلكم في محاربة البدع والخرافات ؟

هذا كلام صحيح تمامًا فجمعية أهل الحديث تعمل على نفس منهج أنصار السنة والتي تهدف إلى دعوة المسلمين للعودة إلى مصدري الشريعة الإسلامية : الكتاب والسنة ، والعودة إلى عقيدة السلف الصالح والالتزام بمنهجهم القويم . وإبعاد البدع والخرافات والترّهات من صفوف المسلمين . وتوعيتهم بالتعليمات الإسلامية الصحيحة وتحذيرهم من التقليد الشخصي والتصوف بأنواعه والبعد عن العلمانية والعقلانية والمذاهب المستوردة والهدامة .

أما عن الوسائل المستخدمة في القضاء على البدع والخرافات والشركيات فهي بتوزيع المجلدات الإسلامية وترجمة معاني القرآن الكريم بالإضافة إلى أحاديث الرسول ﷺ ومؤلفات السلف وكتب العقيدة والتوحيد . بالإضافة إلى إقامة نظام تعليمي سلفي يبدأ من الروضة (الحضانة) إلى الدراسات العليا . وإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية وكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد في شبه القارة الهندية سواء كانت الهند أو باكستان أو بنجلاديش أو بورما وسيرلانكا أي جماعة تدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة دون إبهام أو إخفاء في نبذ البدع والخرافات والاستعانة بغير الله والحلف ورفض تقديم النذور لغير الله إلا جماعة أهل الحديث .

• • ما هي أهم المؤسسات الدعوية والثقافية والسياسية للمسلمين في الهند ؟

إن من أهم المؤسسات العاملة في مجال الدعوة الإسلامية جمعية أهل الحديث لعموم الهند وجمعية علماء الهند والجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ .

أما المؤسسات التي أنشئت للحفاظ على الكيان السياسي للمسلمين فهي رابطة المسلمين والمجلس الاستشاري لشئون المسلمين ولجنة الأحوال الشخصية الإسلامية للدفاع عن حقوق المسلمين الشرعية فيما يتعلق بالزواج والميراث والمعاملات وغير ذلك .

وأما المؤسسات التعليمية والثقافية فأشهرها دار العلوم وندوة العلماء والجامعة السلفية ومركز أبوالكلام آزاد للتوعية الإسلامية والجامعة المحمدية وجامعة الفلاح وجامعة مظاهر العلوم . والجامعة الندوية في جنوب الهند . وجامعة دار السلام . والجامعة الملية الإسلامية وجامعة حمدرد . وجامعة اليكرة كبرى الجامعات الإسلامية . بالإضافة إلى الجامعات الأهلية والمدارس والمعاهد الخاصة لتحفيظ

القرآن وتعليم اللغة العربية ومع كل هذه المؤسسات فإن الجهود المبذولة في مجال الدعوة الإسلامية غير كافية لحاجتها إلى الدعم اللازم .

• • الدعوة إلى الله في الهند تحتاج إلى نوعية خاصة من الدعاة الأكفاء للرد على الأباطيل والزيف الذي يلحقه أصحاب الديانات الأخرى بالاسلام والمسلمين من بدع وخرافات فما هي الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى للدعوة هناك ؟

أولًا . يجب أن يكون ملتزمًا ومتمسكًا بعقيدة السلف الصالح في المنهج والأخلاق والسلوك حتى يكون نموذجًا صالحًا ومؤثرًا خاصة في المجتمع الهندي .

وأن يكون عالمًا بأحكام القرآن والسنة وعالمًا باللغة العربية وآدابها .

وأن يكون مطلعًا على تاريخ الهند والديانات والنحل الأخرى بالإضافة إلى التيارات الهدامة .

ويجب عليه أن يجرد نفسه من الدخول في السياسات وأن يكون حكيمًا في دعوته فلا يجرح العواطف ويكون منهجه كما قال القرآن الكريم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]

• • أثار موقف الحكومة الهندية لمساندة الهندوس في هدم مسجد بابري وإقامة معبد وثني مكانه ردود فعل غاضبة لدى جميع المسلمين وخاصة المسلمين في الهند فما حقيقة الموقف الآن في الهند خاصة بعد هدم المسجد وبناء المعبد مكانه ؟

الحقيقة يشعر المسلمون بعد هدم مسجد بابري بالظلم وعدم إنصاف المسلمين خاصة وأن هدم المسجد البابري على مرأى ومسمع من الحكومة الهندية التي يقوم الدستور فيها على الديمقراطية والحرية ولكن الواضح أنها حرية كاملة للهندوس ومنقوصة للمسلمين حيث سمحت الحكومة الهندية بإدخال الأوثان في المعبد تحت حراسة مشدّدة . مما أثار استياءً من جميع المسلمين في الهند . ولكن أحب أن أنبه المسلمين في العالم أن هناك مؤامرة كبرى تحاك ضد المسلمين لمحو الوجود الإسلامي من الهند تنفذ تدريجيًا وعلى المدى البعيد . وما حدث لمسجد بابري فتح أعين المسلمين على أبعاد هذه المؤامرة وأحيا فيهم روح البقاء والكفاح الإسلامي والحفاظ على الهوية الإسلامية، وأحب أن أنبه إلى شيء هام جدًا وهو أن هدم مسجد بابري جعل هناك إقبالًا

شديدًا على اعتناق الإسلام من الديانات الأخرى لأن الهندوسية قائمة على الطبقية والصراع ، مما جعل الطبقات السفلى والمنبوذة تنظر إلى عدالة ومساواة الإسلام وتقبل عليه بلهفة شديدة ... وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

• • ما هو تقييمكم لمنهج الحركات الإسلامية الأصولية في العالم الإسلامي وما تبعها من صحوة إسلامية ؟

أود أن أشير إلى أنه بعد انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وآسيا الوسطى والقوقاز.وفي ألمانيا وغيرها يؤكد ويعلن الاستعمار الغربي بما فيه أمريكا وبلاد أوروبا والقوى النصرانية والصهيونية العالمية أنها لم يبق لها إلا الإسلام وما يقومون به من تصفية جسدية في البوسنة والهرسك وفلسطين وكشمير وبورما وإرتيريا وغيرها من الأقليات الإسلامية جعل الشباب ينتفض لنصرة هؤلاء، فظهرت الصحوة الإسلامية المباركة . ولكني أرى أنها ليست صحوة مكتملة لأنها غير قائمة على الأسس الإسلامية الثابتة، ومع ذلك فهي مصدر تهديد ورعب لأعداء الإسلام .

فأخذ أعداء الإسلام باتهام كل صحوة إسلامية بأنها حركة إرهابية ومتطرفة . وتنقل بعض وسائل إعلامنا الإسلامي ذلك للأسف الشديد، وأنصح شباب الصحوة بضرورة أن يتأسسوا على ثوابت العقيدة الصحيحة، وأن يتمسكوا بسيرة الرسول ﷺ لأن الأمة لا ينصلح حالها إلا كما قال الإمام مالك رضي الله عنه : « لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح بـه أولها » وهذا هو الطريق الصحيح للنهوض بالدعوة والدعاة، وليس هناك من طريق للنهوض بالأمة من فُرْقَتها وتشتتها بغير هذا الطريق، وبغير هذا الطريق لا يتحقق تضامن الأمة ووحدتها وعودتها إلى العمل بكتابه وسنته .

• • ما هي أهداف مركز أبو الكلام آزاد ؟

يقوم مركز أبو الكلام آزاد للتوعية الإسلامية على تحقيق أهداف كثيرة من أهمها: إنشاء جيل يؤمن بالله وحده على بصيرة، ويدعو إلى العقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح، ويقف في وجه الانحراف العقدي والخلقي، ويقاوم التحديات المعاصرة بالإضافة إلى دعوة المسلمين إلى التمسك بالكتاب والسنة عقيدة وعملًا وخلقًا، والعمل على مقاومة الشرك على اختلاف مظاهره والإلحاد والفوضى وإماطة البدع والضلال والهوى ومحو الجهل والخرافة .

وكذلك العمل على إحياء التفكير

الإسلامي الحر، وإزالة الجمود الفكري والقضاء على التعصب المذهبي وإصلاح مناهج التربية والتعليم مع مراعاة التطورات الفكرية والثقافية المعاصرة ، والعمل على إحياء الشعور الإسلامي الصحيح في قلوب الشباب .

وتدريب المعوقين على المهن ، وتعليم اللغة العربية ونشرها بين الناس ليتمكنوا من فهم رسالة الإسلام فهمًا صحيحًا حتى لا يقعوا في حبائل المبشرين والمستشرقين والملحدين والعقلانيين ، والعمل على بناء المساجد وإصلاح شئونها وتجديد رسالتها في الدعوة إلى الله ، وإقامة المشاريع الخيرية من دور الأيتام وبناء المستشفيات وإنشاء الأوقاف الإسلامية لسد حاجات المسلمين للاستعانة بها على نشر الدعوة الإسلامية .

الإدارة الاجتماعية لوسط القاهرة
إدارة الجمعيات

قرار
رقم ٤٢ بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٢٧م

أولًا : تشهر جمعية مسجد الرحمة التابع لجماعة أنصار السنة المحمدية – سوق الزلط بباب الشعرية – القاهرة طبقًا لأحكام القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ ولائحته التنفيذية تحت رقم ٤٠٢٠ بتاريخ ١٩٩٣/١٠/١٦م .

ثانيًا : على إدارة الجمعيات تنفيذ هذا القرار اعتبارًا من تاريخ صدوره .

أربعة أحاديث

❋ قال أبو داود سليمان السجستاني : يكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث : قول رسول الله ﷺ :

(١) « إنما الأعمال بالنيات » .

(٢) « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

(٣) « لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » .

(٤) « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » .

حقوق المرضى

بقلم
د . إبراهيم الشربيني

● قال رسول الله ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس : « رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس »[١] .

وفي حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ باتباع الجنائز وعيادة المريض[٢] .

وقال ﷺ : « عودوا المرضى ... »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أو ما علمت أنك لَوْ عُدْتَّه لوجدتني عنده[٤] » الحديث .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرْفَة الجنة حتى يرجع »[٥] .

قال الحافظ في الفتح[٦] : [خُرْفة الجنة هي الثمرة إذا نضجت ، شَبَّه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر ، وقيل : المراد بها هنا الطريق ، والمعنى أن العائد يمشي في طريق تؤديه إلى الجنة والتفسير الأول أولى ، فقد جاء عند مسلم قيل : يارسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : « جناها »] اهـ .

قال ﷺ : « إذا عاد المسلم أخاه مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوة صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساءً صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح »[٧] .

وقال ﷺ : « من عاد مريضًا ناداه منادٍ من السماء : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا »[٨] .

عيادة الكافر جائزة والقربة فيها موقوفة على نوع حرمة كجوار أو قرابة.

عيادة المريض تعم الصديق والعدو.. من عرف ومن لم يعرف

قال العلامة الشوكاني - رحمه الله - :

والمراد بقوله « حق المسلم » أنه لا ينبغي تركه ويكون فعله إما واجبًا أو مندوبًا ندبًا مؤكدًا شبيهًا بالواجب الذي لا ينبغي تركه ويكون استعماله في المَعْنَيَيْنِ من باب استعمال المشترك في معنييه. فإن الحق يستعمل في معنى الواجب - كذا ذكره ابن الأعرابي - وكذا يستعمل في معنى الثابت ومعنى اللازم ومعنى الصدق وغير ذلك.

وقال الحافظ : الظاهر أن المراد به هنا وجوب الكفاية اهـ[٩].

● قال الإمام النووي رحمه الله : ويستحب أن يعم بعيادته الصديق والعدو ومن يعرفه ومن لا يعرفه لعموم الأحاديث ، وعيادة الكافر جائزة والقربة فيها موقوفة على نوع حرمة يقترن بها من جوارٍ أو قرابة.

ففي صحيح البخاري عن أنس قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » فنظر الغلام ، إلى أبيه فقال له : أطع أبا القاسم . فأسلم الغلام ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار »[١٠] اهـ .

وقال البخاري : قال سعيد بن المسيب عن أبيه :(لما حضر أبو طالب جاءه النبي ﷺ)[١١] .

قال الحافظ : (واستدل بعموم قوله ﷺ : « عودوا المريض » على مشروعية العيادة في كل مريض لكن استثنى بعضهم الأرمد ... وقد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال : (عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني)[١٢] اهـ[١٣] .

● وأورد الإمام البخاري في صحيحه باب عيادة المغمى عليه بعد باب وجوب عيادة المريض وكأنه يشير إلى ما استنبطه الحافظ فقال : (ومجرد علم المريض بعائده لا تتوقف مشروعية العيادة عليه لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله ، وما يرجى من بركة دعاء العائد ووضع يده على المريض والمسح على جسده والنفث عليه عند التعويذ إلى غير ذلك)[١٤] اهـ .

وأورد – رحمه الله – في باب عيادة النساء الرجال حديث عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وَعِكَ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ، قالت : فدخلت عليهما ، قلت : يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك ؟ ... قالت عائشة : فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحُبِّنَا مَكَّةَ أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مُدِّها وصاعها ، وانقل حماها فاجعَلْهَا بالجُحفة » قال الحافظ : وقد تقدم أن في بعض طرق الحديث (وذلك قبل الحجاب) ... فيجوز عيادة المرأة الرجل بشرط التستر والذي يجمع بين الأمرين ما قبل الحجاب وما بعده الأمن من الفتنة اهـ[١٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده ، قال : وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » .

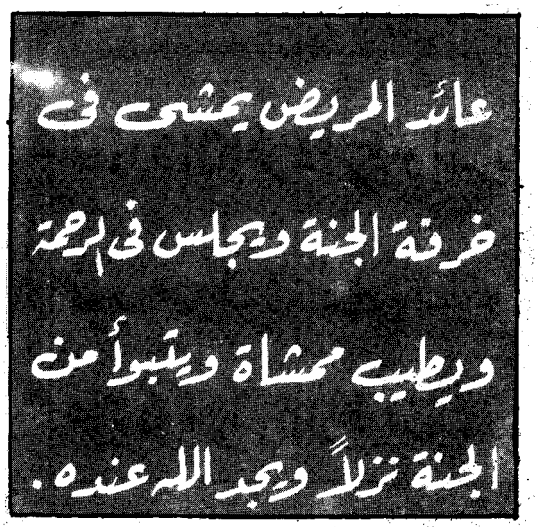

قال : قلتَ طهور ؟ كلا ، بل هي حمى تفور – أو تثور – على شيخ كبير ، تُزِيرُه القبور ، فقال النبي ﷺ : « فنعم إذًا »[١٦] .

قلت : وبعد سرد هذه الأحاديث الصحيحة في فضل العيادة ، وعيادة النبي ﷺ للصبي والمشرك والأعرابي – [قال الحافظ : فلا نقص على الإمام في عيادة مريض من رعيته ولو كان أعرابيًّا جافيًا ، ولا على العالم في عيادة الجاهل ليعلمه ويذكره بما ينفعه ، ويأمره بالصبر لئلا يتسخط قدر الله فيسخط عليه ، ويسليه عن ألمه إلى غير ذلك اهـ][١٧] – وبعد الأمر بعيادته والتصريح بأنه حق له ، وعاد النبي ﷺ مرة راكبًا ومرة ماشيًا ومرة منفردًا ومرة مردفًا فهذا كله بيان لأهمية هذا الأمر بل وجوبه كما صرح الإمام البخاري .

● ● متى يعاد المريض ؟ وكم يبقى عنده ؟

قال الحافظ - مختصرًا -: (ويؤخذ من إطلاق هذه الأحاديث عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور ومن استند إلى حديث أنس (كان النبي ﷺ لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث) فهذا حديث ضعيف جدًّا ، ويؤخذ من إطلاق الحديث أيضًا أن العيادة لا تتقيد بوقت دون وقت لكن جرت العادة بها في طرفي النهار)[١٨] اهـ .

قلت : والحديث المذكور آنفًا وفيه (فإن كان غدوة ... وإن كان مساءً ...) دليل على ذلك .

قال النووي : (قال صاحب الحاوي وغيره : ينبغي أن تكون العيادة غبًّا لا يواصلها كل يوم إلا أن يكون مغلوبًا قلت (أي النووي) هذا لآحاد الناس ، أما أقارب المريض وأصدقاؤه ونحوهم ممن يأتنس بهم أو يتبرك بهم أو يشق عليهم إذا لم يروه كل يوم فليواصلوها ما لم يعلم كراهة المريض لذلك . قال صاحب الحاوي وغيره : وإذا عاده كره إطالة القعود عنده لما فيه من إضجاره والتضييق عليه ومنعه من بعض تصرفاته)[١٩] اهـ .

قال الحافظ : (فإن اقتضت ذلك ضرورة فلا بأس كما في حديث جابر وعيادة النبي ﷺ وأبو بكر له)[٢٠] اهـ .

---

(١)(٢) في الصحيحين .
(٣) صحيح الجامع ٤١٠٩ .
(٤)(٥) صحيح مسلم .
(٦) الفتح ١١٨/١٠ الريان .
(٧) السلسلة الصحيحة ١٣٦٧ .
(٨) حسن . صحيح الجامع ٦٣٨٧ .
(٩) نيل الأوطار ١٥/٤ .
(١٠) المجموع ١١٢/٥ دار الفكر . والحديث في صحيح البخاري .
(١١) صحيح البخاري .
(١٢) قال الشوكاني : صححه الحاكم وسكت عنه أبو داود والمنذري .
(١٣) الفتح ١١٨/١٠ .
(١٤)(١٥) فتح الباري ١٢٣/١٠ ، ١٢٥ .
(١٦) صحيح البخاري ٥٦٥٦ .
(١٧) فتح الباري ١٢٤/١٠ .
(١٨) فتح الباري ١١٨/١٠ .
(١٩) المجموع ١١٢/٥ .
(٢٠) الفتح ١١٨/١٠ .

موقف

القرآن من الشعراء

أ . سعد صادق محمد

عضو جماعة أنصار السنة

ومدير تحرير مجلة الهدي النبوي

في المقال السابق الذي نشرته مجلة التوحيد بعدد رجب سنة ١٤١٤هـ بعنوان : دور الإسلام في الحركة النقدية ، وقف بنا الحديث عند بيان أن الشاعر في الجاهلية ترك تصوراته القديمة ، وأصبح يعمل في دائرة المبادىء الإسلامية .

نعم إن الشاعر الذي التزم بدعوة التوحيد الخالص ، لا بد أن يدور حول إطارها الأساسي ، وبالتالي تتحدد للشاعر ماهية الشعر في أنه نشاط من الأنشطة الإنسانية ، له القدرة على التأثير في الجماعة الإسلامية ، وذلك حين يعرض الحقائق والقيم التي أقرها الإسلام ، عرضًا من شأنه أن يقوي أثر هذه القيم في الناس ، بوسائل أقرها الإسلام نفسه ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهناك سؤال يقفز إلى الأذهان :

> هل رفض الإسلام الشعراء عمومًا ، أم أنه حددهم لنا ؟

يشير القـــرآن إلى الشعـراء داخـل سيـاق الآيات الآتية ، في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا * وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء/٢٢١- ٢٢٧]

ففي هـذه الآيـات القرآنية يمكن أن نلمح عدة أشياء :

أولها : أن الشاعر - بمجيء الرسالة المحمدية - قد انحدرت مرتبته التي حظي بها أيام الجاهلية ، ولم يعد هو ذلك الذي يستحق الاحترام الكامل ، والتقديس التام .

ثانيها : أن الشعر في هذه الآيات مرتبط بصفات الغواية والكذب والخيال ، وهي صفات ينفيها الدين الإسلامي الجديد ، ويبتعد بها عن المسلم الذي ارتبط إيمانه بالله ، ومن هنا نفى القرآن عن الرسول ﷺ قول الشعر ، وهاجم بشدة أولئك الذين زعموا أن القرآن ضرب من ضروب الشعر ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٩] .

فالقرآن الكريم يشير هنا إلى لفظة شعر الأدبية ، وهذه الإشارة إلى لفظة شعر تفرق في حسم بين الشعر والقرآن .

والقرآن ينفي هنا في الآيات صفة « شاعر » عن النبي ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء/٥] .

ويقول : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

[الصافات/٣٥ -٣٧].

يقول الله عز وجل : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

[الطور/ ٢٩ - ٣١] .

فالآيات التي مرت بنا تنفي عن القرآن صفة «شعر»، وتنفي- أيضًا- عن النبي ﷺ صفة « شاعر » المفهومة من الدلالة اللغوية لهذه اللفظة ، وخاصة عندما تقترب صفة « شاعر » من الكذب والكهانة والجنون .

ثالثها : أن القرآن حين هاجم الشعراء ، وربطهم بصفات الكهانة والغواية والكذب لم يهاجمهم مطلقًا ؛ بل استثنى الشعراء الذين يلتزمون بقواعد الإيمان ، ويقومون بعمل صائب يخدمون به قيم الدين ، ويدافعون عن مبادئه .

وإلى عدد قادم إن شاء الله ، لنعرف : الشاعر الذي يريده الإسلام ،

خير الدنيا والآخرة

❋ قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : خير الدنيا والآخرة في خمس خصال وهي : غِنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله عز وجل على كل حال .

بقلم

د . فانيام بادى عبد الرحيم

أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

بُوجِي : شمعة الاشتعال في السيارة ، وجمعه بواجٍ ويقال له أيضًا : بوجيه ، ويجمع على بوجيهات .

فرنسي : BOUGIE

بُودْرَة : مسحوق . مسحوق الزينة .

تركي : PUDRA عن الفرنسية : POUDRE

بُور : ميناء كما في « بور سعيد » و « بور توفيق » و « بور فؤاد »

فرنسي : PORT . أما « بورت » في بور تسودان فمن الإنكليزية .

بُورْجُوازِية : كلمة أطلقت أصلًا على سكان المدن الفرنسية ، وعممت فيما بعد بحيث أصبحت تطلق على الطبقة الوسطى في جميع البلاد . ويطلقها الشيوعيون على الطبقة الرأسمالية التي تملك أدوات الإنتاج تمييزًا لها عن طبقة البرولتاريا .

فرنسي : BOURGEOISIE .

بُورْصَة : سوق للأوراق المالية .

إيطالي : BORSA .

بُورِي : آلة التنبيه في السيارة (السودان والسعودية) .

تركي : BORU .

بُوسْطة : البريد .

إيطالي : POSTA .

بُوش : كلام فارغ . وفي مقاهي الحجاز يطلق أيضًا على الفنجان الفارغ .
تركي : BOS, أي : فارغ . ومن الغريب أن هذه الكلمة مستعملة في اللغة الإنكليزية أيضًا بمعنى الكلام الفارغ ، وهي أيضًا مأخوذة من التركية وتكتب : BOSH . وقد دخلت في الإنكليزية عن طريق قصة موريير : MORIER المسماة « عائشة » (المنشورة عام ١٨٣٤) حيث يكثر ورود هذه الكلمة .

بُوصَة : مقياس طولي يساوي ٢٥,٤م .

فرنسي : POUCE .

بُوصْلة : بيت الإبرة .

إيطالي : BUSSOLA .

بُوظَة : شراب مسكر مثل البيرة ، تشربه الطبقة المنحطة في مصر .
فارسي : بوز ، وعنها : BOZA بالتركية .

بُوغاز : المضيق .

تركي : BOGAZ .

بُوفَية : مقصف .

فرنسي : BUFET

بُولِيس : شرطة .

إنكليزي وفرنسي POLICE

بُويَه : دهان . وفي السودان : بوهية . والبُويَجِي : الذي يلمع الأحذية .

تركي : BOYA

بِيادة : الجنود المشاة .

تركي : PIYADE عن الفارسية . والجدير بالذكر إنه عُرِّب قديمًا بصورة بيذق .

٨ شارع قوله - عابدين
القاهرة
تليفون : ٣٩١٥٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية
تأسست سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م
المركز العام
المشهرة تحت رقم ٦١ لسنة ١٩٧٢

الأخ الفاضل رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فرع/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد- فقد قرر مجلس إدارة المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٩٣/١٢/٩- دعوة الجمعية العمومية للمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية لدورة الانعقاد العادية في تمام الساعة الواحدة ظهر الخميس الموافق ١٩٩٤/٣/٣١م بمقر المركز العام وذلك للنظر في جدول الأعمال التالي :

١ - النظر في التقرير السنوي لمجلس الإدارة عن نشاط الجماعة خلال عام ١٩٩٣م .

٢ - اعتماد الحساب الختامي لعام ١٩٩٣م وتقرير مراقب الحسابات عليها .

٣ - التصديق على مشروع الميزانية لعام ١٩٩٤م .

٤ - تعيين مراقب للحسابات لعام ١٩٩٤م .

٥ - انتخاب ٥ خمسة أعضاء بدلًا من الذين أسقطت عضويتهم لمجلس الإدارة هذا وقد تقرر فتح باب الترشيح لعضوية مجلس إدارة المركز العام - من بين أعضاء الجمعية العمومية والمرشحين من قبل الفروع - والمستوفين لجميع شروط العضوية وذلك في الفترة من أول فبراير ١٩٩٣ حتى ١٠ فبراير ١٩٩٣ على أن تشمل طلبات الترشيح البيانات التالية :

١ - الاسم رباعي ٢ - المؤهل الدراسي ٣ - الوظيفة ٤ - تاريخ الميلاد ٥ - رقم البطاقة وجهة صدورها ٦ - محل الإقامة ٧ - الجمعيات المنضم لمجلس إدارتها وميادين عمل كل جمعية .

يراعى أن يرفق بطلبات الترشيح ١ - خطاب تفويض من الفرع ٢ - صورة من محضر مجلس إدارة الفرع المقرر به ترشيح العضو .

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السكرتير العام

التوقيع/ عبد العزيز محمد عاشور